

دراسة في الرسالة إلى أهل غلاطية

# كن حياً

تحذير : هذا الكتاب  
قد يغير مفهومك عن  
الحياة المسيحية !

[www.christianlib.com](http://www.christianlib.com)

وارين ويرزبي

كُنْ حَيًّا



## Be Free

By: WARREN W. WIERSBE

© 1975 by SP Publication, Inc.

ChariotVictor Publishing,

4050 Lee Vance View, Colorado Springs,

Colorado 80918 U.S.A

## كن حراً

© الناشر : مطبوعات إيجلز

ص . ب ١١٠١ هليوبوليس بحري

القاهرة ١١٧٣٧ - مصر

طبعة أولى ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ٢٤٨٦ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : ١ - ٤٦ - ٥٧٥٤ - ٩٧٧

الترجمة : د. جرجس ميلاد

التحرير والمراجعة ، والإعداد الفني : إيجلز جروب

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده ، ولا يجوز استخدام أو اقتباس

أو طبع أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن مسبق من الناشر ، وللناشر

وحده حق إعادة الطبع .

# المحتويات

|   |                             |
|---|-----------------------------|
| ٤ | تقسيم موضوعات الرسالة ..... |
| ٥ | تقديم الكاتب .....          |

## أولاً : القسم الشخصي .. النعمة والإنجيل .. غلاطية ١ و ٢

|    |  |              |
|----|--|--------------|
| ٩  | أخبار سيئة عن الأخبار السارة .....         | الفصل الأول  |
|    | غل ١ : ١ - ١٠ .....                        |              |
| ١٩ | وُلِدَ حُرّاً .....                        | الفصل الثاني |
|    | غل ١ : ١١ - ٢٤ .....                       |              |
| ٢٩ | المحارب من أجل الحرية ( الجزء الأول ) .... | الفصل الثالث |
|    | غل ١ : ١ - ١٠ .....                        |              |
| ٣٧ | المحارب من أجل الحرية ( الجزء الثاني ) ..  | الفصل الرابع |
|    | غل ٢ : ١١ - ٢١ .....                       |              |

## ثانياً : القسم التعليمي .. النعمة والناموس .. غلاطية ٣ و ٤

|    |                        |              |
|----|------------------------|--------------|
| ٤٩ | مخدوعون ومتحIRON ..... | الفصل الخامس |
|    | غل ١ : ١ - ١٤ .....    |              |
| ٥٩ | منطق الناموس .....     | الفصل السادس |
|    | غل ٣ : ١٥ - ٢٩ .....   |              |
| ٦٩ | إنه وقت للنمو ! .....  | الفصل السابع |
|    | غل ١ : ١ - ١٨ .....    |              |
| ٧٩ | تقابل مع أمك ! .....   | الفصل الثامن |
|    | غل ٤ : ١٩ - ٣١ .....   |              |

## ثالثاً : القسم العملي .. النعمة والحياة المسيحية غلاطية ٥ و ٦

|     |                            |                  |
|-----|----------------------------|------------------|
| ٩١  | كُفْ أَيُّهَا اللص ! ..... | الفصل التاسع     |
|     | غل ١ : ١ - ١٢ .....        |                  |
| ١٠١ | الحرية الخامسة .....       | الفصل العاشر     |
|     | غل ٥ : ١٣ - ٢٦ .....       |                  |
| ١١١ | حرية المحبة .....          | الفصل الحادي عشر |
|     | غل ١ : ١ - ١٠ .....        |                  |
| ١٢١ | سمات الحرية .....          | الفصل الثاني عشر |
|     | غل ٦ : ١١ - ١٨ .....       |                  |

# تقسيم موضوعات الرسالة

الموضوع الرئيسي : الحرية المسيحية في ضوء نعمة الله  
الآية المفتاحية : غلاطية ٥ : ١

أولاً : القسم الشخصي .. النعمة والإنجيل غل ١ و ٢

- ( ١ ) إعلان النعمة في رسالة الرسول بولس ١ : ١ - ١٠
- ( ٢ ) إظهار النعمة في حياة الرسول بولس ١ : ١١ - ٢٤
- ( ٣ ) النعمة والدفاع عنها في خدمة الرسول بولس ٢ : ١ - ٢١
- ( أ ) أمام الكنيسة مجتمعة ٢ : ١ - ١٠
- ( ب ) أمام الرسول بطرس شخصياً ٢ : ١١ - ٢١

ثانياً : القسم التعليمي .. النعمة والناموس غل ٣ و ٤

- ( ١ ) البرهان الشخصي ٣ : ١ - ٥
- ( ٢ ) البرهان الكتابي ٣ : ٦ - ١٤
- ( ٣ ) البرهان المنطقي ٣ : ١٥ - ٢٩
- ( ٤ ) البرهان التاريخي ٤ : ١ - ١١
- ( ٥ ) البرهان الوجداني ٤ : ١٢ - ١٨
- ( ٦ ) البرهان المجازي ٤ : ١٩ - ٣١

ثالثاً : القسم العملي : النعمة والحياة المسيحية غل ٥ و ٦

- ( ١ ) الحرية وليست العبودية ٥ : ١ - ١٢
- ( ٢ ) الروح وليس الجسد ٥ : ١٣ - ٢٦
- ( ٣ ) الآخرون وليس الذات ( الأنا ) ٦ : ١ - ١٠
- ( ٤ ) مجد الله وليس مدح الناس ٦ : ١١ - ١٨

## تقديم

ما أخطر هذه الرسالة ! إنها تكشف أكثر البدائل شيوعاً للحياة الروحية في كنائسنا اليوم .. أي الناموسية . أنا لم أقل بين أصحاب البدع ، بل في الكنائس ، التي نجد فيها اليوم قدراً كبيراً من التمسك بالناموس .

هناك ملايين من المؤمنين يظنون أنهم « روحانيون » بسبب الأنشطة التي يقومون بها ، أو بسبب القائد الذي يتبعونه ، أو بسبب الجماعة التي ينتمون إليها . لكن الرب في هذه الرسالة يُرينا مدى خطأ أمثال هؤلاء ، وأن الأفضل هو ترك المجال للروح القدس ليسيّط على حياتنا .

عندما يسيطر الروح القدس تكون هناك حرية لا عبودية ، وتعاون لا تنافس ، ومجد لا مديح للإنسان . وسوف يرى العالم مسيحية حقيقية ، ويعرف الخطاة المخلص ، أي تحدث « نهضة » بحسب التعبير القديم .

بعد أن قضيت شهوراً في دراسة هذه الرسالة أجد نفسي متواضعاً وملتحمساً أيضاً . أما الاتضاع فلأنني لم أكن أظن أن الله يهتم بخدماتنا هكذا بغض النظر عن انطباع الناس عنها ، أما الحماس - أو التحدي - فهو لحاجتي إلى حياة أعمق وخدمة أكثر . فأننا أحتاج أن يأخذ الروح القدس طريقه فيّ ، سواء كانت حياتي أو خدمتي تتفق مع نموذج الناس أم لا .

لذلك قلت ما أخطر هذه الرسالة ! وقد كانت كذلك بالنسبة للرسول بولس كاتبها ، وللذين أرسلت إليهم . وربما كتابتي لهذه الدراسة تثبت أن فعل ذلك كان أمراً خطيراً ؛ لأنني مُعرض بسببها لأن أفقد بعض الأصدقاء أو بعض الدعوات للخدمة أيضاً !

---

وإني أُصلي حتى نتمتع جميعاً بالحرية التي لنا في المسيح ، وإلا فإنه يكون قد مات عبثاً .

« فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » ( يو ٨ : ٣٦ ) .

ومن هذا المنطلق أقول لك أيها القارئ العزيز :

« كن حراً ! »

وارين ويرزبي

**أولاً : القسم الشخصي**  
**النعمة والإنجيل**  
**الأصحاحان الأول والثاني**





## أخبار سيئة عن الأخبار السارة

غلاطية ١ : ١ - ١٠

حاول الفتى الذي وقف مقابل الباب الأمامي لمنزلي أن يبيع لي نسخة من جريدة أسبوعية ، وكان كثير الإلحاح ، وقال : ” إنها تصدر مرة واحدة في الأسبوع ، وثمانها ربع دولار ، وأفضل ما بالجريدة هو نشرها للأخبار السارة فقط ! “

لقد أصبح من الصعب جداً في هذا العالم المليء بالتعب أن تجد « أخباراً سارة » ؛ لذلك فإن ما تدعيه تلك الجريدة مجرد نوع من الدعاية التسويقية ! إلا أن المؤمن الذي يضع ثقته في المسيح كمخلص فإن الإنجيل بالنسبة له هو « الأخبار السارة » ، الذي هو : « أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب » ( ١ كو ١٥ : ٣ و ٤ ) . فالأخبار السارة أن الخطاة يُغفر لهم ، ويمكنهم الذهاب للسماء من أجل ما فعله الرب يسوع على الصليب ؛ ولذلك فإن أهم رسالة في هذا العالم هي الأخبار السارة عن الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح .

وهذه الأخبار هي التي غيرت حياة الرسول بولس ، ومن خلاله أيضاً غيرت حياة كثيرين آخرين . لكن هجوماً قد حدث على تلك الأخبار ، ومن ثم قام الرسول بولس بالدفاع عن حق الإنجيل ، فقد قام معلّمون كذبة بغزو كنائس غلاطية وهي كنائس أسسها الرسول بنفسه ، وبدأوا يُعلّمون برسالة مختلفة عن تلك التي علم بها بولس .

وعندما تبدأ في قراءة هذه الرسالة تلاحظ في الحال أمراً غريباً جداً في افتتاحيتها ؛ لأن الرسول بولس لم يبدأ الرسالة - كعادته - بتقديم الشكر لله

والصلاة من أجل القديسين ! فلم يكن لدى الرسول وقت لذلك ، بل دخل على الفور في معركة من أجل حق الإنجيل ، ومن أجل حرية حياة المؤمن . لقد نشر المعلمون الكذبة إنجيلاً مزوراً ، عبارة عن خليط من الناموس والنعمة ، ولم يكن الرسول بولس هو الشخص الذي لا يفعل شيئاً تجاه هذا التعليم . لكن كيف خاطب الرسول مؤمني غلاطية في محاولته لتعليمهم « حق الإنجيل » ؟ لقد حاول في هذه الأعداد الافتتاحية أن يخطو ثلاث خطوات محددة ، وهو يستعد لدخول المعركة .

## أولاً : الرسول يشرح سلطانه ( غل ١ : ١ - ٥ )

لقد تعامل الرسول فيما بعد - في هذه الرسالة - مع أهل غلاطية على أساس مشاعر المودة والحنو ( غل ٤ : ١٢ - ٢٠ ) ، لكنه كان حريصاً في البداية أن يعلن لهم السلطان الذي كان له من الله . وهناك ثلاثة مصادر لذلك السلطان وهي :

(١١) خدمته (ع ١٦ و ٢) : « بولس رسول ... » . في الأيام الأولى للكنيسة دعا الله أناساً معينين للقيام بأعمال خاصة ، ومن بين هؤلاء كان الرسل . وكلمة « رسول » تعني « المرسل بموجب تكليف » . فعندما كان الرب يسوع على الأرض ، كان له تلاميذ كثيرون ، وقد انتخب من بينهم الاثني عشر رسولاً ( مر ٣ : ١٣ - ١٩ ) . بعد ذلك أصبح من شروط الرسول أن يكون قد عاين القيامة ( أع ١ : ٢١ - ٢٢ : ٢ : ٣٢ : ٣ : ١٥ ) . وبالطبع لم يكن بولس تلميذاً ، ولا رسولاً في أيام الرب يسوع على الأرض ، إلا أنه رأى الرب المقام وأرسل بواسطته ( أع ٩ : ١ - ١٨ : ١ : ٩ كو ١ : ٩ ) .

وقد أثار ذلك التغيير المعجزي في حياة بولس ، ودعوته للرسولية بعض المشاكل . فمن البداية كان بعيداً عن الرسل الأصليين ، ولهذا السبب قال أعداؤه أنه لم يكن رسولاً حقيقياً . وقد حرص الرسول أن يُشير إلى كونه رسولاً بواسطة الرب يسوع المسيح - تماماً كما فعل مع الاثني عشر الأصليين . فلم تكن رسوليته باختيار بشري ولكن بتعيين سماوي . ومن ثم أصبح له السلطان لكي يتعامل مع مشاكل كنائس غلاطية .

لكن كان هناك أساس آخر لسلطانه ، وهو أنه المؤسس لتلك الكنائس . فلم يكتب لها كغريب عنهم ، بل كمن أوصل إليهم رسالة الحياة في بادئ الأمر ! ولعل هذه الرسالة تظهر تعاطف الرسول مع أولئك المؤمنين ( غل ٤ : ١٢ - ١٩ ) . ولكن للأسف فإن هذا التعاطف لم يُقابل بالمثل تجاه الرسول نفسه .

أما مسألة تأسيس كنائس غلاطية فقد شغلت دارسي الكتاب الجادين لعدة سنوات ، والمشكلة تنشأ من معنى كلمة « غلاطية » . فقبل ميلاد المسيح بعدة قرون هاجرت بعض القبائل القوية من « غول » - التي هي فرنسا حالياً - إلى آسيا الصغرى ، وأسَّسوا « غلاطية » ، والتي تعني ببساطة « مقاطعة غول » . وعندما أعاد الرومان تنظيم العالم القديم جعلوا غلاطية جزءاً من مقاطعة أكبر كانت تشمل مناطق أخرى ، وأطلقوا على المنطقة بأسرها اسم « غلاطية » . لذلك عندما نعود إلى أيام الرسول بولس ، كان عندما يتكلم أحدهم عن غلاطية ، لم يكن معروفاً على وجه التحديد إن كان يقصد مدينة غلاطية الصغيرة ، أو مقاطعة غلاطية الرومانية الكبيرة .

ويثير الجدل بين الدارسين عمماً إذا كان الرسول قد كتب إلى الكنائس في مدينة غلاطية ، أم إلى مقاطعة غلاطية . لكن يبدو أنه كتب إلى كنائس الجزء الجنوبي من المقاطعة - كنائس أنطاكية وإيقونية ولسترة ودربة - وهي التي كان قد أسَّسها في رحلته التبشيرية الأولى ( أع ١٣ و ١٤ ) .

لقد كان الرسول بولس يحمل دائماً حباً واهتماماً نحو المؤمنين الجدد ، ورغبة عميقة أن يرى الكنائس التي أسَّسها وهي تُمجد الرب يسوع ( أع ١٥ : ٣٦ ؛ ٢ كو ١١ : ٢٨ ) . كما أنه لم يكتف بقيادة الرجال والنساء إلى المسيح ، ثم يتخلّى عنهم ( وكمثال على هذه الرعاية اقرأ ١ تس ٢ ) .

وما أن سمع الرسول بأن معلمين كذبة بدأوا يؤثرون على المؤمنين الذين ربّهم ، ويضلّونهم ؛ انزعج جداً . وكان محقاً في ذلك ؛ لأن تعليم المؤمنين الجدد كيفية الحياة من أجل المسيح له نفس أهمية ربّهم للمسيح ( مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ) . وللأسف فإن كثيرين من مؤمني غلاطية تحولوا عن الرسول بولس ، أبيهم الروحي في الرب ، وصاروا يتبعون معلّمي الناموس الذين كانوا يخطئون ناموس العهد القديم بإنجيل نعمة الله . ( ونحن ندعو هؤلاء المعلمين الكذبة « بالمتهودين » ؛ لأنهم كانوا يحاولون إغراء المؤمنين بالعودة إلى النظم الدينية اليهودية ) . وهكذا ، كانت لبولس خدمة كرسول ، ولاسيما كمؤسس لكنائس

غلاطية ، وبذلك كان له السلطان أن يتعامل مع مشاكل تلك الكنائس . ولكن هناك مصدر ثان لسلطانه :

(٢) رسالته (ع ٣ و ٤) : لقد أعلن الرسول بوضوح من البداية رسالة الإنجيل ، لأنها هي الرسالة التي حاول المتهودون أن يُغيروها . فالإنجيل يتمركز في شخص واحد هو الرب يسوع المسيح ابن الله ، وهذا الشخص قد دفع ثمنًا .. إذ قدّم ذاته ليموت على الصليب ( وسوف ترى أهمية الصليب في هذه الرسالة ، راجع غل ٢ : ١٩ - ٢١ ؛ ٣ : ١ و ١٣ ؛ ٤ : ٥ ؛ ٥ : ١١ و ٢٤ ؛ ٦ : ١٢ - ١٤ ) . لقد دفع الرب يسوع ثمنًا لأجل تحقيق هدف واحد ، وهو تحرير الخطاة من العبودية .

إن الموضوع الرئيسي لهذه الرسالة هو : « الحرية في المسيح » ( راجع كلمة عبودية كما وردت في غل ٢ : ٤ ؛ ٤ : ٣ و ٩ و ٢٤ - ٢٥ ؛ ٥ : ١ ) . أما المتهودون فقد أرادوا أن يقودوا المؤمنين بعيداً عن حرية النعمة إلى عبودية الناموس . وكان الرسول يعلم أن مثل تلك العبودية لم تكن جزءاً من رسالة الإنجيل ؛ لأن المسيح قد مات لكي يُطلق البشر أحراراً . كانت خدمة الرسول بولس ورسالته مصدرين لسلطانه الروحي ، لكن أيضاً :

(٢) دأخه (ع ٥) : « الذي له المجد إلى أبد الآبدين ! » فلم يكن المعلمون الكذبة يخدمون من أجل مجد المسيح ، بل من أجل مجد أنفسهم ( غل ٦ : ١٢ - ١٤ ) ، ولم يشغلهم أمر ربح النفوس للمسيح . أما الرسول بولس فكان مخلصاً في هدفه ونقياً ، وهو مجد الرب يسوع المسيح ( ١ كو ٦ : ١٩ و ٢٠ ؛ ١٠ : ٣١ - ٣٣ ) .

وبعد ما شرح الرسول سلطانه ، بدأ يستعد لأن يخطو الخطوة الثانية من أجل الدخول إلى معركة حرية المؤمن .

## ثانياً : الرسول يعبر عن قلقه ( غل ١ : ٦ و ٧ )

« أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً ! » لقد كان السبب الأول لقلق الرسول هو ترك الغلاطيين لنعمة الله ( ويفيد زمن الفعل على أنهم كانوا في سبيلهم أن يتركوا ، لكنهم لم يبتعدوا تماماً . )

وهنا يطرق الرسول الحديد وهو ساخن . فالرب قد دعاهم إلى نعمته ، وخلصهم من خطاياهم ، والآن يتحولون من النعمة إلى الناموس ، ويتركون الحرية إلى التقليد ! وهم يفعلون ذلك بسرعة شديدة - دون أن يستشيروا الرسول بولس « أباهم الروحي » ، أو دون أن يُعطوا للروح القدس فرصة أن يعلمهم . فقد خُدعوا بتعاليم المتهودين ، تماماً كما يفعل الطفل الصغير الذي يتبع شخصاً غريباً لا يعرفه ؛ لأنه أعطاه بعض الحلوى !

« نعمة الله » هي أحد الموضوعات الرئيسية في هذه الرسالة ( غل ١ : ٣ و ٦ و ١٥ ؛ ٢ : ٩ و ٢١ ؛ ٥ : ٤ ؛ ٦ : ١٨ ) . والنعمة ببساطة هي عطية الله لخطاة غير مستحقين ؛ ولعل كلمتي « نعمة » و « عطية » تتخذان خطين متوازيين معاً ؛ لأن الخلاص هو عطية الله من خلال نعمته ( أف ٢ : ٨ - ١٠ ) . والواقع أن مؤمني غلاطية لم يقوموا ببساطة بتغيير ديانتهم أو كنائسهم ، بل كانوا يبتعدون عن نعمة الله ! أو بالحري يبتعدون عن إله النعمة ! فالله قد دعاهم وخلصهم ، والآن يتركونه من أجل قادة بشريين يرجعون بهم إلى العبودية . نحن يجب ألا ننسى أن الحياة المسيحية هي علاقة حية مع الله من خلال الرب يسوع المسيح . فالإنسان لا يصبح مؤمناً بمجرد موافقته على مجموعة من التعاليم ، بل بالخضوع للسيد المسيح والإيمان به ( رو ١١ : ٦ ) . فنحن لا يمكننا أن نخلط بين النعمة والأعمال ، لأنه الواحدة تلغي الأخرى . فالخلاص هو عطية نعمة الله التي اشتراها لنا المسيح بموته على الصليب ، والتحول عن النعمة إلى الناموس يعني ترك الله الذي خلّصنا .

لكن الغلاطيين ارتكبوا خطية أخرى أثارت قلق الرسول بولس : فقد كانوا يمنعون أو يعطون انتشار الإنجيل ؛ إذ ادعى المتهودون أنهم يكرزون بالإنجيل . غير أنه لا يوجد إنجيلان ، واحد يختص بالناموس والآخر بالنعمة . لذلك قال الرسول : « ليس هو آخر » - أي رسالة مختلفة تماماً عن الإنجيل الحقيقي . وهذا ما يتشابه مع أصحاب البدع في هذه الأيام الذين يقولون إننا نؤمن بيسوع المسيح ، ولكن هناك شيء رائع يمكن أن نضيفه إلى ما نؤمن به . كما لو أن الإنسان يستطيع أن يضيف شيئاً أفضل من نعمة الله !

الكلمة المترجمة « يحولوا » في العدد السابع استُخدمت ثلاث مرات في العهد الجديد ( أع ٢ : ٢٠ ؛ يع ٤ : ٩ ؛ غل ١ : ٧ ) ، وتعني : التحول أو التغيير إلى العكس ، ويمكن ترجمتها بكلمة : « عكسي » . وهذا يعني أن

المتهودين كانوا قد عكسوا الإنجيل وحولوه رجوعاً به إلى الناموس . وسوف يشرح الرسول - كما سنرى في هذه الرسالة - أن الناموس كان إعداداً لمجيء المسيح ، إلا أنهم فسروه تفسيراً آخر ، وكأن الإنجيل والناموس سارا معاً ، فقالوا : « إن لم تختنوا حسب عادة ( ناموس ) موسى لا يمكنكم أن تخلصوا » ( أع ١٥ : ١ ) .

لكن ماذا كانت نتيجة تلك « الجدوبة والضلال » على مؤمني غلاطية ؟ لقد انزعجوا ( غل ١ : ٧ ) ، وهذا الفعل يحمل معنى الحيرة والتشويش والقلق . ونستطيع أن نفهم أكثر معنى الفعل المستخدم هنا عندما نرى استخدامه في أماكن أخرى . فقد حدث نفس الانزعاج للتلاميذ في السفينة أثناء العاصفة ( مت ١٤ : ٢٦ ) ، وكذلك مع هيرودس عندما سمع بالملك المولود الجديد ( مت ٢ : ٣ ) . فلا عجب إذاً من قلق الرسول عليهم ، لأنهم كانوا يجتازون هزة عنيفة لمشاعرهم بسبب التعاليم الكاذبة التي وصلت إلى الكنائس . لكن النعمة تقود دائماً إلى السلام ( غل ١ : ٣ ) ، غير أن المؤمنين هجروا النعمة ؛ ولذلك لم يكن لهم سلام في قلوبهم .

ولعلنا نعلم تماماً أن نعمة الله تتضمن شيئاً أكثر من خلاص الإنسان . فنحن لا نخلص فقط بالنعمة ، بل نعيش أيضاً بها ( ١ كو ١٥ : ١٠ ) ، ونقيم في النعمة فهي أساس الحياة المسيحية ( رو ٥ : ١ و ٣ ) . كما أنها تعطينا القوة لكي نكون جنوداً منتصرين ( ٢ تي ٢ : ١ - ٤ ) ، وتمكّننا النعمة من تحمل المعاناة دون تذمر ، بل وتستخدم هذا الألم من أجل مجد الله ( ٢ كو ١٢ : ١ - ١٠ ) .

فعندما يتحول المؤمن عن الحياة بنعمة الله ، ويعتمد على قوته الذاتية ، فهذا يؤدي به إلى الفشل والإحباط وهذا ما قصده الرسول بقوله : « سقطتم من النعمة » ( غل ٥ : ٤ ) ، أي خرجتم من دائرة النعمة إلى دائرة الناموس ، وتوقفتم عن الاتكال على المصادر الإلهية ، واعتمدتم على مصادركم الذاتية فقط . لا عجب من قلق الرسول لأن أصدقاءه في المسيح تركوا نعمة الله ، وحولوها إلى الحياة بالجسد ، وبحسب مصادرهم الذاتية . لقد بدأوا حياة الإيمان بالروح ، والآن يحاولون الاستمرار بقوة الجسد ( غل ٣ : ٣ ) .

وبعدما شرح الرسول سلطانه ، ثم عبّر عن قلقه ، يأخذ الآن الخطوة الثالثة :

## ثالثاً : الرسول يكشف عن خصومه

( غل ١ : ٨ - ١٠ )

هناك قول شائع نصه : " اصنع محبة لا حرباً ! " إلا أن ذلك ليس ممكناً دائماً . فالأطباء مثلاً يجب أن يصنعوا حرباً ضد المرض والموت ، ومهندسو البيئة يحاربون ضد التلوث والقدارة ، وأهل القانون ضد الجريمة والظلم ، وكل هؤلاء يحاربون من أجل أشياء يحبونها !

يقول المرنم : « يا محبي الرب ابغضوا الشر » ( مز ٩٧ : ١٠ ) ، ويقول الرسول بولس : « كونوا كارهين الشر مُلتصقين بالخير » ( رو ١٢ : ٩ ) . وهكذا أعلن الرسول الحرب ضد المعلمين الكذبة ؛ لأنه أحب الحق ، وأحب أولئك الذين قادهم إلى المسيح . ومثل الأب الذي يعتني بابنته حتى تتزوج ، استمر الرسول في مراقبة ومتابعة المؤمنين الجدد ؛ لئلا يندفعوا بالخطية ( ٢ كو ١١ : ٤ - ١ ) .

لقد اشتهر المتهودون بالإنجيل الكاذب الذي كرزوا به ، لكن خدمة الإنسان لا تقاس بمقدار الشعبية التي يحققها ( مت ٢٤ : ١١ ) ، ولا بالعلامات أو المعجزات ( مت ٢٤ : ٢٣ و ٢٤ ) بل بمقدار إخلاصه لكلمة الله ( إش ٨ : ٢٠ : ١ تي ٤ : ١ يو ٤ : ١ - ٦ : ٦ ) وفي ٢ يو ٥ : ١١ يحذّرنا الرسول يوحنا من تشجيع الذين يأتون بتعاليم كاذبة ) . لقد استأمن الرب يسوع الرسول بولس على الإنجيل ( ١ كو ١٥ : ١ - ٨ ) ، وهو بدوره استودعه لخدام آخرين أمناء ( ١ تي ١١ : ١١ : ٦ : ٢٠ : ٢ : ١ تي ١٣ : ٢ : ٢ ) . لكن المتهودين حاولوا استبدال الإنجيل الحقيقي بإنجيل كاذب ؛ ومن أجل هذه الخطية دعاهم الرسول بولس ملعونين أو محرومين . وكلمة « أناثيما » تعني محفوظاً للهلاك ( راجع أع ٢٣ : ١٤ لتحصل على معنى أوسع للكلمة ) ، فحتى إذا جاء ملاك - أو بولس نفسه - وبشّر بإنجيل آخر فليكن ملعوناً ومحروماً !

ثم كانت هناك صفة أخرى لخصوم بولس ، وهي زيف دوافعهم . فهم الذين اتهموا بولس بأنه « مُلقَق » للإنجيل حتى يناسب الأمم غير اليهود . وربما أساءوا استخدام قوله السابق : « صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً » ( ١ كو ٩ : ٢٢ ) ، فقالوا : " إن بولس عندما يكون مع اليهود يتصرف كيهودي ، وعندما يكون مع الأمم يتصرف كالأمم ، فهو إذاً يُرضي الناس ، لذلك لا يمكن الثقة فيه ! " .



في الواقع .. إن المعلمين الكذبة هم الذين يحاولون إرضاء الناس ، فكانوا « يغارون لكم لكن ليس حسناً ( أي يهتمون بكم ، ولكن ليس بطريقة حسنة ) بل يريدون أن يصدوكم عني ( أي عن الرسول نفسه ) لكي تغاروا لهم ( أي تهتمون بهم ) » ( غل ٤ : ١٧ ) . ثم فضح الرسول المعلمين الكذبة بعد ذلك ، وكشف تلاعبهم باللجوء إلى ممارسات العهد القديم حتى لا يضطهدهم اليهود ( غل ٦ : ١٢ - ١٥ ) . وقطعاً لم يكن الرسول بولس يُرضي الناس ، ولم تكن إرسالته من إنسان ( غل ١ : ١٢ ) ، ولم يتسلم رسالته من بشر ( غل ١ : ١ ) ، فكيف يخاف إذًا من الناس ؟ ولماذا يسعى لإرضائهم ؟ لقد كان اشتياق الرسول أن يحظى برضاء الرب يسوع عنه ، وليس الناس .

عندما قدم الموسيقار العالمي « فيردي » أول أوبرا في مدينة « فلورانس » ظل واقفاً بين الكواليس ، وركّز عينيه على وجه رجل واحد بين كل السامعين ، ألا وهو الموسيقار العظيم « روسيني » . فلم يعبأ « فيردي » سواء صَفَّقَ له كل الناس في القاعة ، أو سخطوا عليه ، لكنه أراد فقط ابتسامة رضا من ذلك الموسيقار . وهكذا كان الحال مع الرسول بولس ، فقد أدرك ماذا كانت تعني المعاناة من أجل الإنجيل ؛ لذلك لم يعد يُحركه موافقة الناس أو معارضتهم : « لذلك نحترس أيضاً أن نكون مرضيين عنده » ( ٢ كو ٥ : ٩ ) ، لقد طلب الرسول بولس رضا المسيح .

إن خادم الله يُجرب دائماً بأسلوب الحل الوسط من أجل إرضاء الناس . عندما كان " د . ل . مودي " يعظ في إنجلترا تقدّم أحدهم إلى المنبر ، وقال له إن رجلاً نبيلًا وهامًا جداً قد وصل إلى القاعة ، فأجابه مودي : " لعل الاجتماع يكون سبب بركة له ! " واستمر في تقديم عظته دون أن يفعل شيئاً خاصاً لِيُثير اهتمام ذلك الرجل .

لم يكن الرسول بولس رجلاً سياسياً بل سفيراً ، ولم يكن عمله هو اللعب بالسياسة بل تقديم رسالة . من جانب آخر ، كان المتهودون بجبن يقبلون الحل الوسط ، ويخلطون بين الناموس والنعمة على أمل إرضاء اليهود والأُمم ، دون الاهتمام إطلاقاً بإرضاء الله .

لقد ذكرنا أن الرسول اتخذ ثلاث خطوات ؛ لكي يُدخل أولئك المعلمين الكذبة إلى المعركة . لكن ترى كيف سيهاجم أعداءه ؟ وما هو سبيله لإقناع مؤمني غلاطية بأن كل ما يحتاجون إليه هو الإيمان بنعمة الله ؟ وبمنظرة سريعة للرسالة

نرى أن الرسول بولس كان من أوائل الذين دافعوا عن الإنجيل . حاول أن تقرأ نص هذه الرسالة في جلسة واحدة ، وبينما تقرأ لاحظ كيف اقترب الرسول إليهم من مداخل ثلاثة ، كما يلي :

كان المدخل الأول شخصياً .. الأصحابان الأول والثاني . فلقد استعرض اختبار الشخص مع الرب يسوع المسيح ورسالة الإنجيل ، وأشار إلى أنه استلم ذلك الإنجيل مباشرة من الرب ، وليس من الاثني عشر رسولاً ( غل ١ : ١١ - ٢٤ ) ، إلا أنهم أيدوا رسالته وخدمته ( غل ٢ : ١ - ١٠ ) . وأكثر من ذلك فإن بولس هو الذي دافع عن الإنجيل في الوقت الذي قُبِل فيه الرسول بطرس - المتقدم في الرسل - الحل الوسط ( غل ٢ : ١١ - ٢١ ) . ويتضح لنا من الجزء الأول الشخصي من الرسالة أن الرسول بولس لم يكن رسولاً مزيفاً ، بل كانت رسالته وخدمته صادقتين ومتفقتين مع الإيمان .

والمدخل الثاني كان تعليمياً ، ففي الأصحابين الثالث والرابع قدّم الرسول حججاً كثيرة لكي يثبت أن الخطاة إنما يخلصون بالإيمان والنعمة ، وليس بأعمال الناموس ( أف ٢ : ٨ و ٩ ) . فيشرح أولاً اختباراتهم الشخصية ( غل ٣ : ١ - ٥ ) ، ثم يعود إلى ناموس العهد القديم ؛ لكي يبين أن إبراهيم والأنبياء قد فهموا أن الخلاص بالنعمة عن طريق الإيمان . وبمناسبة ذكر الناموس ، فقد شرح الرسول لماذا أُعطي أصلاً ( غل ٣ : ١٥ - ٤ : ١٨ ) . ثم استخدم قصة سارة وهاجر ؛ ليوضح العلاقة بين الناموس والنعمة ( غل ٤ : ١٩ - ٣١ ) .

وفي الأصحابين الآخرين جاء المدخل الثالث كمُلخص عملي . إذ انتقل الرسول من التعليم إلى التطبيق العملي . فقد اتَّهم المتهودون بولس بأنه كان يشجع اللاناموسية ؛ لأنه كان يركز بإنجيل نعمة الله ، لذلك يشرح الرسول في هذا الجزء العلاقة بين نعمة الله وحياة الإيمان العملية . ويوضح أن الحياة بالنعمة تعني الحرية ، وليس العبودية ( غل ٥ : ١ - ١٢ ) ، والاعتماد على الروح القدس لا على الجسد ( غل ٥ : ١٣ - ٢٦ ) ، والحياة من أجل الآخرين ، وليس لأجل الذات ( غل ٦ : ١ - ١٠ ) ، وأخيراً الحياة لأجل مجد الله وليس لإرضاء الناس ( غل ٦ : ١١ - ١٨ ) . وذلك كله عبارة عن سلسلة من أعمال النعمة ، أو من أعمال الناموس ، ولكن ليس من كليهما معاً .



## وُلدَ حرّاً !

غلاطية ١ : ١١ - ٢٤

كتب المفكر الأمريكي « إمرسون » ذات مرة قائلاً : " الذي يريد أن يكون إنساناً يجب ألا يشابه أحداً ! " ووافق في ذلك الكثير من المفكرين .

أما الناقد الفني الإنجليزي « جون رسكن » فقال : " إنني أخاف التماثل ، فلا يمكن أن تصنع العظماء مثلاً تصنع الذهب ! "

وكتب الفيلسوف الألماني « شوبنهاور » قائلاً : " إننا نخسر ثلاثة أرباع نفوسنا عند محاولتنا التشبُّه بالآخرين ! "

أثناء رسامة بعض الشماسية صلى « فرانسيس أسبيري » ، وهو أول أسقف لكنيسة نهضة القداسة في الولايات المتحدة قائلاً : " يارب ، ليتك تمنح هؤلاء الإخوة ألا يتشبهوا بالآخرين ! "

بالطبع هناك نوع من الفردية التي تدمر ولا تبني ، ولكن في مجتمع تعود على النمطية الموحدة ، من المفيد أن نتقابل مع رجل مثل الرسول بولس ، الذي تجرأ أن يعيش بالحرية بحسب مشيئة الله . إلا أن حريته في المسيح صارت مصدر تهديد لأولئك الذين وجدوا الأمان في الخضوع لأفكار الآخرين .

أما أعداء بولس فقد أشاروا إلى عدم امتثاله للرسل كبرهان على عدم صحة رسالته وخدمته . فقالوا إنه كان يدعي الرسولية ، بينما لا يتفق مع التقليد الرسولي . وهنا يُجيب الرسول عن سوء الفهم الذي حدث نتيجة لعدم تمثله بالرسل أنه كان رسول بقصد إلهي ؛ فالرب قد اختار أن يُعلن ذاته لبولس بطريقة مختلفة .

ويؤكد الرسول هذا المفهوم في ( غل ١ : ١١ و ١٢ ) ويقول إن رسالته

وخدمته كانتا من مصدر إلهي ، وإنه لم يخترع الإنجيل ، ولا تسلّمه من إنسان ، بل من الرب يسوع المسيح . ولذلك فإن من يضيف شيئاً إلى إنجيل الرسول بولس يقع تحت الدينونة الإلهية ؛ لأن الرب يسوع أعطاه له من السماء ( ١ كو ١٥ : ١ - ١١ ) .

وقد كانت أفضل طريقة لكي يثبت الرسول هذه النقطة لأهل غلاطية هي أن يذكرهم بالماضي ، وبالطريقة التي تعامل بها الله معه . وقد أقرّ الرسول بأن حياته الماضية كانت معروفة لدى قرّائه ( غل ١ : ١٣ ) . ويبدو أنهم لم يفهموا تماماً معنى تلك الاختبارات التي حدثت له ؛ لذلك ألقى الرسول الضوء على ثلاث صور من ماضيه كبرهان على أن رسوليته وإنجيله كانا حقاً من الله .

## أولاً : المضطهد

( غل ١ : ١٣ و ١٤ )

بدأ الرسول بسيرته السابقة كمعلّم يهودي ( لكي تطلع على وصف حيوي لتلك السنين من شفتي بولس نفسه أقرأ أع ٢٦ ، وأيضاً ٢٢ بالإضافة إلى أع ٩ ) . ففي هذا السرد التاريخي يُشير الرسول إلى علاقته بالكنيسة ( غل ١ : ١٣ ) ، وبديانة اليهود ( غل ١ : ١٤ ) . فقد كان يضطهد الكنيسة ، ويُشجّع الديانة اليهودية . وقد سارت الأمور كلها بحسب طريقته هو ، ومن ثمّ عُرف سريعاً في إسرائيل بأنه قائد روحي .

ومن الجيد أن نلاحظ الكلمات المستخدمة في وصف أنشطة الرسول عندما كان « شاول الطرسوسي » المضطهد للكنيسة . لقد كان « راضياً » بقتل إستفانوس ( أع ٨ : ١ ) ، ثم استمر « يسطو » على الكنيسة ( أع ٨ : ٣ ) مُحطماً العائلات ، وواضعاً المؤمنين في السجن . فقد كان كل حياته « ينفث ( يَفُور ) تهديداً وقتلاً » ، ( أع ٩ : ١ ) ، وإذ كان مصمماً على تحطيم الكنيسة كان دائماً يعطي صوته بالموافقة على قتل المؤمنين ( أع ٢٢ : ٤ و ٥ ؛ ٢٦ : ٩ - ١١ ) . وقد ذكر هذه الحقائق في رسائله ( ١ كو ١٥ : ٩ ؛ في ٣ : ٦ ؛ ١ تي ١ : ١٣ ) ، وأظهر تعجبه أن يخلص الله خاطئاً نظيره .

في الواقع كان بولس يظن أن يسوع شخص دجّال ، وأن رسالته الخلاصية كذبة كبيرة . لقد كان متأكداً أن الله تكلم بواسطة موسى ، لكن كيف يتأكد أنه

تكلم أيضاً بواسطة يسوع الناصري ؟ وبما أنه تربى منعساً في التقليد اليهودي ؛ فقد افتخر شاول الشاب بإيمانه ، وانتشرت سمعته كمُضطهدٍ غيورٍ لشبيعة النصارى ( أ ع ٩ : ١٣ و ١٤ ) . وأدرك الجميع أن ذلك النابغة .. تلميذٌ غملاً لا ئيل ( أ ع ٢٢ : ٣ ) كان في طريقه لكي يكون قائداً للإيمان اليهودي . فتدبّنه الشخصي ، وعلمه ( أ ع ٢٦ : ٢٤ ) ، وغيرته المؤثرة في معارضة المعتقدات الدينية الأخرى ، كل هذه مجتمعة رشحته ليكون أكثر المعلمين اليهود احتراماً في أيامه .

لكن شيئاً ما حدث : فقد أصبح شاول الطرسوسي مُضطهد الكنيسة بولس الرسول الكارز بالإنجيل ! ولم يحدث ذلك التغيير تدريجياً ، بل فجأة وبدون سابق إنذار ( أ ع ٩ : ١ - ٩ ) .

فقد كان شاول في طريقه إلى دمشق لاضطهاد المؤمنين ، وبعد أيام قليلة كان يركز في دمشق لليهود موضحاً أن المسيحيين على حق ! فكيف يُفسر المتهودون ذلك التغيير المفاجئ ؟

فهل حدث هذا التغيير بواسطة بني شعبه اليهود ؟ كلا بالطبع ؛ فقد صُدموا بذلك التغيير إذ كانوا يشجعونه في برنامج اضطهاده .

وهل حدث التغيير بواسطة المؤمنين الذين كان يضطهدهم ؟ بالتأكيد كان المؤمنون يُصلون من أجل شاول ، ولا شك أن موت إستفانوس والشهادة المجيدة التي قدمها أثرت بعمق في شاول ( أ ع ٢٢ : ١٩ و ٢٠ ) ، إلا أن المؤمنين كانوا يهربون من شاول ( أ ع ٨ : ١ و ٤ : ٩ : ١٠ - ١٦ ) ، ولم يظنوا أبداً أن شخصاً مثله يمكن أن يصبح يوماً ما مؤمناً مسيحياً .

إذ لم يحدث ذلك التغيير العجيب في حياة شاول بسبب اليهود أو الكنيسة ، إذاً مَنْ الذي أحدثه ؟ كان لابد أن يأتي من الله !

ومهما كانت نظرتك إلى تغيير بولس ، إلا أنه كان معجزة روحية . فقد كان مستحيلاً من وجهة النظر البشرية أن يتحول شاول المعلم اليهودي ليصبح الرسول بولس بعيداً عن معجزة نعمة الله . وذلك الإله الذي خلّصه هو أيضاً الذي دعاه لكي يكون رسولاً ، وأعطاه رسالة الإنجيل . وبالتالي إن كان المتهودون يُنكرون رسولية بولس وإنجيله ، فكأنهم كانوا يُنكرون حقيقة تغييره ! لقد كان الرسول بولس - بكل تأكيد - يركز بالرسالة ذاتها التي آمن بها والحق الذي غيرّه ، فلا يمكن لأية رسالة بشرية أن تُحدث مثل ذلك التغيير . وبذلك أصبح برهان الرسول

بولس مؤكداً : لأن سلوكه الماضي كمُضطهد للكنيسة ، بالإضافة إلى التغيير المفاجئ الذي حدث له قد أثبت أن رسالته وخدمته كانتا من الله .

## ثانياً : المؤمن

( غل ١ : ١٥ و ١٦ و ٢٤ )

بعد أن تحدث الرسول بولس عن سيرته الماضية وسلوكه ، بدأ يشرح عملية تغييره ( إيمانه ) : لأن ذلك الأمر كان حاسماً في حياته ، وكأنه كان يقول للمدعين عليه : " إني أكرز للآخرين بما اختبرته أنا بنفسي ، فهذا هو الإنجيل الصحيح ، وما عداه فهو كذب . " ثم يشرح الرسول في هذين العديدين الخصائص المميزة لاختبار تغييره كما يلي :

(١) **الله هو الذي غيَّره** ( ع ١١٥ و ١١٦ ) : « لما سُرَّ الله .. أن يُعلن ابنه فيَّ » . وكلما تحدث الرسول عن تغييره كان يؤكد دائماً على حقيقة أن الله هو الذي غيَّر حياته ، وأن « للرب الخلاص » ( يونا ٢ : ٩ ) .

(٢) **غيَّره بالنعمة** ( ع ١٥ ) : إن اختبار بولس يذكرنا بإرميا الشاب ( إر ١ : ٤ - ١٠ ) ، وكذلك بيوحنا المعمدان ( لو ١ : ٥ - ١٧ ) . فالخلاص يكون بنعمة الله وليس بمجهود الإنسان أو شخصيته . ثم أن النعمة والدعوة تسيران معاً ( غل ١ : ١٥ ) : فكل مَنْ يختاره الرب في نعمته فإنه يدعوه بكلمته ( ١ تس ١ : ٤ و ٥ ) . فأسرار سيادة كل من إرادة الله ، ومسئولية الإنسان أن يطيع غير معلنة لنا بالكامل . ولا يمكن تجاهل أن الله لا يُريد أن يهلك أحد ( ٢ بط ٣ : ٩ ) ، وأن كل الذين يتقون في المسيح يكتشفون أنهم مختارون فيه قبل تأسيس العالم ( أف ١ : ٤ ) .

(٣) **غيَّره بواسطة المسيح** ( ع ١١٦ ) : في رسالة أخرى أوضح الرسول بولس أنه كان له الكثير ليفتخر به قبل إيمانه ( في ٣ ) . إذ كان له ديانتته وبره ، وكذلك سمعته ومعرفته . لكن لم يكن له المسيح ! لكن عندما تقابل الرب معه في الطريق إلى دمشق أدرك ما كان يفقده . فقال : « ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة » ( في ٣ : ٧ ) .

لقد أعلن الله شخص المسيح للرسول بولس ، وأعلنه فيه ، ومن خلاله . لقد

كانت « ديانة اليهود » ( غل ١ : ١٤ ) عبارة عن طقوس وممارسات خارجية ، لكن الإيمان بالمسيح قاده إلى الاختبار الداخلي الحقيقي مع الرب ( غل ٢ : ٢٠ : ٤ : ١٩ ) .

(٤) **غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ (ع ١٦٦) :** لقد اختار الله بولس ليس ليُخلصه فقط ، لكن ليستخدمه في ربح الآخرين أيضاً . وتعليم الاختيار في الكتاب المقدس يجب ألا يقود إلى الكبرياء أو الأنانية ؛ لأن الاختيار يتضمن المسؤولية . لقد اختار الله بولس ليكرز للأمم بالنعمة التي اختبرها ، تلك الكرازة في حد ذاتها كانت دليلاً أن تغيير بولس كان من الله . بكل تأكيد لم يكن ممكناً لمعلم يهودي متعصب أن يقرر من تلقاء نفسه أن يخدم « الأمم » المحتقرين ! ( انظر أع ٩ : ١٥ : ١٥ : ٢٢ : ٢١ و ٢٢ : أف ٣ : ١ و ٨ )

(٥) **غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِ مَجْدِهِ (ع ٢٤) :** كيهودي متعصب نال بولس المجد الذي يتمناه أي شخص ، لكن ما كان يفعله لم يمجّد الله . فالإنسان خلق لتمجيد الله ( إش ٤٣ : ٧ ) ، وافْتَدَى لكي يمجّد الله ( ١ كو ٦ : ١٩ و ٢٠ ) . وقد كان هذا التمجيد هو الدافع المُلح في حياة بولس وخدمته ( رو ١١ : ٣٦ : ١٦ : ٢٧ : أف ١ : ٦ : ٣ : ٢٠ و ٢١ : في ٤ : ٢٠ : ١ : ٣١ ) . أما المتهودون فقد اهتموا بمجدهم الذاتي ( غل ٦ : ١١ - ١٨ ) ؛ ولهذا السبب كانوا يسرقون الذين آمنوا بواسطة بولس ويضلونهم . فإذا كان الرسول قد اهتم بمجد نفسه لاستمر معلماً يهودياً ، وربما أصبح خلفاً لغماً لائيل . إلا أن مجد الله كان هو الدافع للرسول بولس ، وهذا يجب أن يكون هو الدافع في حياتنا نحن أيضاً .

عندما كان « تشارلس سبرجن » واعظاً صغيراً ، اقترح والده القس « جون سبرجن » أن يذهب إلى الكلية ليحصل على مقدار من الشهرة ، ورُتبت له مقابلة للدكتور « جوزيف أجنس » مدير إحدى الكليات في لندن ، وذهب الشاب « سبرجن » للمقابلة في الميعاد والمكان المحددين ، وانتظر ساعتين حتى تسرّب إليه اليأس فانصرف . ثم اتضح أن رئيس الكلية كان ينتظره في غرفة أخرى مجاورة ، لكنه رحل ؛ لكي يلحق بميعاد آخر . وغادر « سبرجن » المكان وذهب ليعظ في مكان ما بحسب ميعاد سابق ، وبينما كان في الطريق سمع صوتاً يقول له بوضوح : " هل تطلب لنفسك أموراً عظيمة ؟ لا تطلبها ! " ( إر ٤٥ : ٥ ) ،



ومن تلك اللحظة عزم « سيرچن » أن يُنفذَ إرادة الله لمجد الله ، وقد باركه الله بطريقة غير عادية .

بعد أن صوّر الرسول بولس نفسه كمُضطهد ، ذاكراً سيرته وسلوكه الماضيين ، قدّم نفسه كمؤمن ، وحكى اختبار تغييره .. والآن يقدم صورة ثالثة عن نفسه .

### ثالثاً : المبشّر

( غل ١ : ١٦ - ٢٣ )

ما هي العلاقات التي كانت لبولس مع المؤمنين الآخرين بعد إيمانه ؟ لقد كان ذلك سؤالاً حيويّاً بالنسبة لدفاع الرسول ، فلم يكن له أية صلات شخصية بالرسول بعد تغييره مباشرة ؛ ولذلك قال : « للوقت لم أستشر أحماً ودمّاً » ( غل ١ : ١٦ ) . كان الأمر المنطقي بعد ذلك الاختبار أن يقدم بولس نفسه إلى كنيسة أورشليم ، ويستفيد من التوجيهات الروحية لأولئك الذين كانوا « في المسيح » قبله . لكن الرب قاده إلى قرار آخر ؛ فإذا كان قد ذهب إلى أورشليم ربما ارتبطت خدمته بخدمة باقي الرسل - وجميعهم يهود ، وربما شكّل ذلك عائقاً لخدمته مستقبلاً بين الأمم .

ويجب أن نتذكر هنا أن خدمة الإنجيل كانت لليهود أولاً ( أع ٣ : ٢٦ ؛ رو ١ : ١٦ ) . كما أن خدمة الرب يسوع كانت لليهود - وكذلك خدمة الرسل في السنوات القليلة الأولى ( انظر أعمال الأصحاحات ١ - ٧ ) . لكن بعد استشهاد إستفانوس حدثت نقطة التحول ؛ فقد تشتت التلاميذ حاملين معهم الأخبار السارة إلى أماكن أخرى ( أع ٨ : ٤ ؛ ١١ : ١٩ ، إلخ . ) فذهب فيلبس بالرسالة إلى السامرة ( أع ٨ ) ، ثم قاد الرب الرسول بطرس ليقدمها للأمم ( أع ١٠ ) . وتبقى لبولس أن يحمل الإنجيل إلى جموع الأمم ( أع ٢٢ : ٢١ و ٢٢ : ٢٢ ؛ أف ٣ : ١ و ٨ ) ، ولهذا السبب أبقاه الله بعيداً عن الخدمة وسط اليهود السائدة آنذاك ، والتي كان يقودها بقية الرسل في أورشليم .

إن كان الرسول لم يذهب مباشرة إلى أورشليم فإلى أين ذهب إذا ؟ لقد استعاد بذكرته كل علاقاته السابقة ، وأدرك أن قادة الكنيسة لن يقبلوا بأي حال رسالته أو دعوته الرسولية . ( قارن هذا الجزء مع ما ورد في أع ٩ : ١٠ - ٣١ ، ولاحظ أن أغلب مفسري الكتاب لم يتفقوا بعد على التسلسل التاريخي لحياة

الرسول بولس . ومن الجيد أن تفاصيل التاريخ لا تؤثر على فهم ما كتبه الرسول ؛ فقد نختلف حول ترتيب الأحداث تاريخياً لكننا نتفق على التعليم ! )

(١١) **الذهاب إلى العربية (ع ١٧ ب )** : وحدث هذا بعد خدمته الأولية في دمشق ( أ ع ٩ : ١٩ و ٢٠ ) . وبدلاً من « استشارة اللحم والدم » تفرغ الرسول للصلاة والدراسة والتأمل ، والتقابل مع الله منفرداً . وربما قضى أغلب السنوات الثلاث في المنطقة العربية ( غل ١ : ١٨ ) ، ولا شك أن تلك الفترة تضمنت أوقاتاً للكراسة ، بالإضافة إلى النمو الروحي لشخصه . وكما قضى التلاميذ ثلاث سنوات يتعلمون على يدي الرب يسوع ، أتاحت تلك السنين الفرصة للرسول بولس أن يتعلم من الرب .

(٢) **العودة إلى دمشق (ع ١٧ ج )** : لقد كان منطقياً آنذاك أن يزور بولس أورشليم ، لكن الرب قاده إلى طريق آخر . وبالتأكيد كانت هناك خطورة في ذهابه ثانية إلى المدينة التي علمت بأنه صار مسيحياً ؛ فاليهود الذين كانوا يتطلعون إليه كقائد لهم ضد المسيحية سوف يطلبون دمه . وواضح أن « حادثة السل » التي وردت في أعمال ٩ : ٢٣ - ٢٥ ( انظر ٢ كو ١١ : ٣٢ و ٣٣ ) قد حدثت في ذلك الوقت . لكن عودة الرسول إلى دمشق ، وما تضمنته من خطر على حياته كانت برهاناً آخر على أن قادة اليهود قد اعتبروا بولس عدواً لهم ، وأن اختبارهم مع الرب يسوع كان صادقاً وحقيقياً .

(٣) **زيارة أورشليم - في النهاية (ع ١٨ - ٢٠)** : وقد جاءت هذه الزيارة بعد مضي ثلاث سنوات على إيمانه ، وكان الهدف الرئيسي منها هو زيارة الرسول بطرس . إلا أن بولس واجه وقتاً صعباً للدخول إلى شركة المؤمنين ( أ ع ٩ : ٢٦ - ٢٨ ) ! ولو كانت رسالته وخدمته من الرسل لما حدث ذلك قط . لكن لأن اختبار بولس كان مع الرب يسوع وحده ؛ فقد شك الرسل فيه . ثم بقي خمسة عشر يوماً في أورشليم .. حيث شاهد بطرس ويعقوب ؛ وبالتالي فإنه لم يتسلم رسالته ولا رسوليته من كنيسة أورشليم ، إذ ببساطة لم يكن هناك وقت أو فرصة لذلك ؛ لأنه كان قد قبل رسالته ورسوليته من السيد المسيح مباشرة .

(٤) **العودة إلى الوطن .. طرسوس (ع ٢١ - ٢٣)** : مرة أخرى يُسجل سفر الأعمال السبب ، وهو أن حياته كانت في خطر ، مثلما حدث سابقاً في

دمشق ( أ ع ٩ : ٢٨ - ٣٠ ) . ولما اجتاز بولس في سوريا كان يكرز بالكلمة ، وعندما وصل إلى كيليكية وطنه ( أ ع ٢١ : ٣٩ : ٢٢ : ٣ ) بدأ يبشر هناك ( أ ع ١٥ : ٢٣ ) . ويقول المؤرخون أنه بقي هناك سبع سنوات حتى جُذِّدَ برنابا للعمل في أنطاكية ( أ ع ١١ : ١٩ - ٢٦ ) . ولم يعرف بولس سوى قليل من المؤمنين في أورشليم ، أما المؤمنون في كنائس اليهودية فلم يعرفوه لكنهم سمعوا أنه كان يكرز بنفس الإيمان .. الذي حاول يوماً ما أن يُتلفه .

في ضوء سلوك الرسول ، ثم إيمانه ، واتصالاته كيف يتسنى إذاً لأي شخص أن يهتمه بأنه اخترع رسالته أو ابتدع خدمته ؟ إن كل ما سبق إنما يؤكد على حقيقة استلامه الإنجيل بإعلان من الرب يسوع المسيح نفسه . لذلك يجب أن نهتم بما سنفعله نحن إزاء هذا الإنجيل ؛ لأنه ليس اختراعاً بشرياً بل الحق الإلهي عينه .

يتهم بعض النقاد بولس بأنه أفسد بساطة الإنجيل ، لكن الحقيقة عكس هذا الاتهام . فالرب يسوع الذي علّم عندما كان على الأرض ، هو أيضاً الذي علّم من السماء بواسطة بولس . فبولس لم يخترع تعليمه ، ولكنه استلمه من الرب ( رو ١ : ٥ : ١١ كو ٢٣ : ١٥ : ١٣ ) . ففي وقت تغيير بولس قال الرب إنه سوف يظهر له في المستقبل ( أ ع ٢٦ : ١٦ ) ، وواضح أن ذلك كان بهدف إعلان الحقائق الإلهية له .

هذا يعني أن مسيح البشائر الأربع هو أيضاً مسيح الرسائل ، ولا يوجد تناقض بين المسيح وبولس . وعندما كتب الرسول رسائله إلى الكنائس فإنه أسس تعاليمه على تعاليم الرب يسوع ( ٢ تس ٣ : ٣ - ١٥ ) ، وقد شهد له الرسول بطرس من جهة الرسائل التي كتبها ( ٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦ ) .

ولعلنا نجد هذه الأيام أناساً يشبهون المتهودين قديماً يرفضون سلطان بولس ، ويحاولون إخفاء الإنجيل الذي كرز به . في أيام بولس كانوا ينادون بالإنجيل بالإضافة إلى ناموس موسى ، أما هذه الأيام فإن كثيرين ينادون بالإنجيل بالإضافة إلى عدد من قادة الدين أو الكتب الروحية ، أو التنظيمات الدينية . « إن لم ... لا يمكنكم أن تخلصوا » ( أ ع ١٥ : ١ ) ، وحرف الشرط « إن » يأتي عادة بعده أهمية الانضمام لجماعتهم ، والطاعة لأوامرهم ؛ وإذا تجاسرت وذكرت لهم بشاراة النعمة كما نادى بها الرب يسوع والرسول بولس وباقي الرسل ، فإنهم يجاوبونك قائلين : " لكن الله أعطانا إعلاناً جديداً ! "

هنا يعطي الرسول بولس الإجابة لمثل هؤلاء ، إذ يقول لهم : « إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما » ( غل ١ : ٩ ) . إن الخاطئ الذي يؤمن بالمسيح يُولد ثانية ( يو ٣ : ١ - ١٨ ) ، « ويُولد حرّاً » ؛ ذلك لأن المسيح قد افتداه واشتراه ؛ ومن ثمَّ حرره . فلم يعد مُستعبداً للخطية أو لإبليس ، ولا للنظم الدينية البشرية ( غل ٤ : ١ - ١١ ؛ ٥ : ١ ) ، وينطبق عليه القول : « إن حررَّكم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » ( يو ٨ : ٣٦ ) .



## المحارب من أجل الحرية الجزء الأول

غلاطية ٢ : ١ - ١٠

كتب المحلل الإخباري المحنك « إردا فيز » في كتابه « لكننا ولدنا أحراراً » :  
” سوف تبقى هذه الأرض للإنسان الحر طالما أنها وطن الشجعان “ . ولعله كان  
يروى صدى ما كتبه الرسول بولس . لقد كانت الحرية الروحية في المسيح بالنسبة  
لبولس أهم بكثير من شعبيته أو أمنه ، وقد كان على استعداد أن يحارب من أجل  
هذه الحرية .

كانت حرب الرسول بولس الأولى من أجل الحرية المسيحية في مجمع أورشليم  
( غل ١ : ١ - ١٠ ؛ أع ١٥ : ١ - ٣٥ ) ، والثانية كانت في مقابلة خاصة مع  
الرسول بطرس ( غل ٢ : ١١ - ٢١ ) . ولو لم يفعل الرسول بولس ذلك لكانت  
الكنيسة في القرن الأول الميلادي قد تحولت إلى مجرد طائفة يهودية تركز بخليط  
من الناموس والنعمة . ولكن بسبب شجاعته حفظ الإنجيل من الناموسية ، وأوصله  
إلى الأمم ببركات وفيرة .

وقبل التأمل فيما حدث في مجمع أورشليم لابد أن نتعرف أولاً على الأشخاص  
المشاركين فيه . ونحن نعلم بالطبع أن الرسول بولس هو رسول الأمم العظيم .  
أما برنابا فكان صديقاً قريباً جداً للرسول بولس ، كما كان له الدور الأول في  
فتح الباب له للدخول إلى شركة الكنيسة في أورشليم ( أع ٩ : ٢٦ - ٢٨ ) .  
واسم « برنابا » يعني « ابن التشجيع » ، وهكذا تجد دائماً برنابا يشجع  
شخصاً آخر ، فعندما وصل الإنجيل إلى الأمم في أنطاكية كان برنابا هو الذي  
أرسل لتشجيعهم في الإيمان ( أع ١١ : ١٩ - ٢٤ ) .

منذ البداية ظل الرسول برنابا مرتبطاً مع المؤمنين ، وكان برنابا كذلك هو الذي طلب بولس للمساعدة في الخدمة في كنيسة أنطاكية ( أ ع ١١ : ٢٥ و ٢٦ ) ، وقد عملاً معاً ، ليس فقط في التعليم ، بل أيضاً في مساعدة الفقراء ( أ ع ١١ : ٢٧ - ٣٠ ) .

لقد اصطحب شاول برنابا في الرحلة التبشيرية الأولى ( أ ع ١٣ : ١ - ١٤ : ٢٨ ) ، وقد شاهدها بركات الله للإنجيل الذي كرزا به . جدير بالذكر أن برنابا هو الذي شجع الشاب يوحنا مرقس بعد تخليه عن الخدمة ، وتعرضه للاستيلاء من قبل بولس ( أ ع ١٣ : ١٣ : ١٥ - ٣٦ - ٤١ ) . وحدث بعد سنوات أن امتدح بولس مرقس واستفاد من صداقته ( كو ٤ : ١٠ : ٢ : ٤ تي ١١ ) .

أما تيطس فكان مؤمناً أُممياً ، وقد عمل مع بولس ، وواضح أنه جاء للمسيح من خلال خدمة الرسول ( تي ١ : ٤ ) . وهكذا كان من ثمار خدمة الرسول بين الأمم ، وقد أخذه إلى مجمع أورشليم كمثال من كنائس الأمم . ثم بعد سنوات كثيرة ساعد تيطس الرسول بولس بالذهاب إلى أصعب الكنائس لكي يحل مشاكلها ( ٢ كو ٧ : ١ تي ١ : ٥ ) .

وفي أورشليم كان هناك « أعمدة » الكنيسة الثلاثة ، وهم : بطرس ويوحنا ويعقوب ( أخو الرب والذي يجب أن نفرق بينه وبين الرسول يعقوب الذي قتله هيرودس في أعمال ١٢ : ١ و ٢ ) . إننا نعلم الكثير عن الرسول بطرس من دوره المتميز في البشائر ، وكذلك من النصف الأول لسفر أعمال الرسل . والرب يسوع قد أعطاه « مفاتيح الملكوت » لكي يفتح باب الإيمان لليهود ( أ ع ٢ ) ، وللسامريين ( أ ع ٨ ) ، وللأُمم ( أ ع ١٠ ) . ونعرف الرسول يوحنا كواحد من « الثلاثة المقربين » إلى الرب يسوع ، وقد اشترك مع الرسول بطرس في خدمة الكلمة ( أ ع ٣ : ١ وما بعده ) .

وربما نحتاج إلى تقديم أوفر بالنسبة ليعقوب . يبدو أن إخوة الرب لم يؤمنوا به أثناء خدمته على الأرض ( يو ٧ : ١ - ٥ ) ، لكننا نجد أنهم قد انضموا إلى جماعة المؤمنين في الكنيسة الأولى ( أ ع ١ : ١٣ و ١٤ ) .

يخبرنا الرسول بولس بأن المسيح المقام قد ظهر ليعقوب ، وكانت تلك هي نقطة التحول في حياته ( ١ كو ١٥ : ٥ - ٧ ) ، وظل قائداً للكنيسة الأولى في أورشليم وأسقفها لها ( أ ع ٥ - انظر أيضاً أعمال ٢١ : ١٨ ) ، وهو الذي كتب

الرسالة التي تحمل اسمه ، ومن تلك الرسالة ( بالإضافة إلى أعمال ٢١ : ١٨ ) يتضح أنه كان يهودياً جداً في تفكيره .

لكن مع تلك المجموعة بالإضافة إلى باقي الرسل والشيوخ ( أع ١٥ : ٤ و ٦ ) ، كانت هناك مجموعة من الإخوة الكذبة الذين اندسوا في الاجتماعات وحاولوا أن يسلبوا حرية المؤمنين في المسيح ( غل ٢ : ٤ ) . وبلا شك كان بعضهم من المتهودين الذين تعقبوا بولس من كنيسة إلى أخرى حتى يكسبوا لأنفسهم بعض المؤمنين . ويتضح من تسمية الرسول لهم أنهم لم يكونوا مؤمنين حقيقيين ، لكنهم تظاهروا بالإيمان حتى يخضعوا المجمع لنفوسهم ويفضل في هذا المجال قراءة ما ورد في ( أع ١٥ ) مع ( غل ٢ : ١ - ١٠ ) للوقوف على كل تفاصيل الحادث .

## أولاً : الموقف الأول .. التشاور على انفراد ( غل ٢ : ١ و ٢ )

عاد بولس وبرنابا إلى أنطاكية - من رحلتها الأولى - مبتهجين بالطريقة التي فتح بها الرب باب الإيمان للأمم ( أع ١٤ : ٢٧ ) . إلا أن اليهود الناموسيين في أورشليم قد انزعجوا للتقرير الذي قدمه الرسولان ، ولذلك جاءوا إلى أنطاكية وعلموا أن الأممي يجب أن يصير يهودياً قبل أن يصير مسيحياً ( أع ١٥ : ١ ) . لقد كان الختان الذي طلبوه من الأمم طقساً يهودياً هاماً منذ أيام إبراهيم ( تك ١٧ ) ، وكان الخضوع للختان معناه قبول وطاعة الناموس اليهودي كله ، في الواقع كان اليهود قد نسوا المعنى الروحي الداخلي لذلك الطقس ( تث ١٠ : ١٦ ؛ إر ٤ : ١ - ٤ ؛ رو ٢ : ٢٥ - ٢٩ ) . تماماً مثل بعض المؤمنين اليوم الذين فقدوا المعنى الروحي للمعمودية ، وحولوها إلى طقس خارجي . إن المسيحي الحقيقي هو الذي قد اختبر ختان القلب الداخلي ( كو ٢ : ١٠ و ١١ ) ، وليس بحاجة إلى عملية ختان جسدية ( في ٣ : ١ - ٣ ) .

عندما واجه بولس وبرنابا أولئك الناس بحقيقة الإنجيل حدثت مناقشة حامية ( أع ١٥ : ٢ ) ، فتقرر أن أفضل مكان لحل تلك المشكلة هو طرحها أمام قادة الكنيسة في أورشليم . ويجب ألا ننظر أن « مجمع أورشليم » كان اجتماعاً تمثلت فيه كل الكنائس كمؤتمر طائفي . كلا ؛ لأن بولس وبرنابا وتيطس وآخرين



من أنطاكية مثلوا مؤمني الأمم الذين آمنوا بعيداً تماماً عن الناموس اليهودي ، ولم يكن هناك ممثلون من الكنائس التي أسسها الرسول بولس في منطقة الأمم . وعندما وصل الوفد إلى اورشليم تقابلوا مع قادة الكنيسة على انفراد . إلا أن بولس لم يصعد إلى اورشليم لأن الكنيسة هي التي أرسلته ، بل ذهب « بموجب إعلان » .. أي أن الله هو الذي أرسله ( قارن غل ٢ : ١ مع ١ : ١٢ ) . وقد أعطاه الرب الحكمة لكي يقابل القادة أولاً حتى يستطيعوا أن يقدموا فكرةً متحدةً في الاجتماعات العامة .

ولا يفهم من القول : « لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً » ( غل ٢ : ٢ ) أنه يعني عدم تأكده من رسالته أو من خدمته ؛ لأن ذهابه إلى هناك يؤكد أنه لم يشك قط ( أع ١٥ : ٣ ) ، بل كان كل همه هو مستقبل الإنجيل بين الأمم لأن الإنجيل كان خدمته الخاصة التي قبلها من المسيح . ولو كان « الأعمدة » قد وقفوا إلى جانب المتهودين - أو حاولوا اتخاذ موقف متوسط - لأصبحت خدمة بولس في خطر . لذلك فقد طلب موافقتهم أولاً قبل مواجهة المجمع ، وإلا كان الانقسام مؤكداً .

وماذا كانت نتيجة تلك المشاورات الخاصة ؟ لقد أسفرت تلك المشاورات عن موافقة الرسل والشيوخ على إنجيل بولس ، ولم يضيفوا شيئاً عليه ( غل ٢ : ٦ ب ) ، ومن ثم أعلنوا خطأ جماعة المتهودين . إلا أن تلك المقابلة الخاصة لم تكن سوى البداية فقط .

## ثانياً : الموقف الثاني .. المجمع الكنسي العام

( غل ٢ : ٣ - ٥ )

لقد سجل البشير لوقا الحدث التاريخي لمجمع اورشليم ( أع ١٥ : ٦ - ٢١ ) . وقدم شهود كثيرون قضية إنجيل نعمة الله ، بدءاً بالرسول بطرس ( أع ١٥ : ٧ - ١١ ) وهو المختار من الله لحمل البشارة - الإنجيل - أصلاً إلى الأمم ( أع ١٠ ) . وقد ذكر الحاضرين كيف أن الله أعطى الروح القدس لمؤمني الأمم تماماً كما فعل مع اليهود ، وبالتالي لم يكن هناك فرق .

لقد كان ذلك درساً صعباً على المؤمنين الأوائل ؛ لأن فرقاً ما كان هناك بين اليهود والأمم لعدة قرون سالفة ( لا ١١ : ٤٣ - ٤٧ ؛ ٢٠ : ٢٢ - ٢٧ ) .

فعندما مات المسيح على الصليب حطم الحاجز بين اليهود والأمم ( أف ٢ : ١١ - ٢٢ ) ، فلم يعد هناك فرق بين الأجناس في المسيح ( غل ٣ : ٢٨ ) . وكان كلام الرسول بطرس أمام المجمع واضحاً ، وهو أنه لا يوجد سوى طريق واحد للخلاص ، وهو : الإيمان بيسوع المسيح .

ثم تحدث برنابا وبولس عن عمل الله بين الأمم ( أع ١٥ : ١٢ ) ، وباله من تقرير إرسالي ! وهو الذي أثار الإخوة الكذبة ، الذين تحاوروا بلاشك مع برنابا وبولس ، اللذين لم يُدعنا لهم ليبقى « حق الإنجيل » مستمراً بين الأمم ( غل ٢ : ٥ ) .

يبدو أن تيطس كان شاهداً في ذلك الوقت ؛ لأنه مسيحي أممي ولم يخضع أبداً للختان ، وكان واضحاً للجميع أنه مؤمن حقاً . فإن كان المتهودون على حق فبالتالي لا يكون تيطس قد نال الخلاص ، ولكنه كان مؤمناً ، وبرهن على حصوله على الروح القدس ؛ ومن ثمَّ يكون المتهودون مخطئين في قولهم : « إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا » ( أع ١٥ : ١ ) .

وجدير بنا هنا أن نتعرض إلى رفيق آخر للرسول بولس وهو تيموثاوس ( أع ١٦ : ١ - ٣ ) . تُرى هل كان بولس مخطئاً عندما رفض ختان تيطس بينما وافق على ختان تيموثاوس ؟ كلا ؛ لأن الأمرين اختلفا في الحالتين . فبالنسبة لتيموثاوس لم يخضع بولس للناموس اليهودي من أجل ربحه للمسيح ؛ إذ كان تيموثاوس يجمع في شخصه الصفة اليهودية والأممية معاً ، فإذا لم يختتن فسوف تعاق خدمته بين شعب إسرائيل . أما تيطس فكان أممياً تماماً ، ولو أنه خضع للختان المسيحي فختانه هذا كان يعني نوعاً من عدم الشجاعة أو قبول الحل الوسط ، أما عدم الختان مع تيموثاوس فكان معناه خلق مشاكل لا داعي لها بالنسبة لخدمته .

أما الرسول يعقوب - أحد أعمدة الكنيسة - فهو الذي قدم ملخصاً للحوار ( أع ١٥ : ١٣ - ٢١ ) ، وباعتبار أنه يهودي فقد أوضح عدم حاجة الأممي لأن يتهود أولاً لكي يصبح مسيحياً ، وأن قصد الله هو أن يقيم من الأمم شعباً لاسمه ؛ وهكذا خلَّص اليهود والأمم بطريق واحد : الإيمان بيسوع المسيح . ثم اقترح الرسول يعقوب تقديم المشورة إلى الأمم بالآ يفعلوا شيئاً مما قد يعثر اليهود غير المؤمنين حتى لا يعوقهم ذلك عن الخلاص ، وهكذا كسب الرسول بولس المعركة .

لقد انتصرت وجهة نظر بولس في الاجتماع الخصوصي عندما وافق المعترفون أعمدة على إنجيله ، وأيضاً في المجمع العام عندما اتفقت الجماعة معه في مقاومة المتهودين .

إن أصداء ذلك المجمع تُسمع باستمرار في كل رسالة غلاطية ، وعندما يقول الرسول « نير عبودية » ( غل ٥ : ١ ) فكأنه يذكرنا بتحذير الرسول بطرس عن ذلك « النير » ( أع ١٥ : ١٠ ) ؛ ولذلك نجد تكراراً لموضوعي الحرية والعبودية في هذه الرسالة ( غل ٢ : ٤ ؛ ٤ : ٣ و ٩ و ٢١ - ٣١ ؛ ٥ : ١ ) ، وكذلك لفكرة الختان ( غل ٢ : ٣ ؛ ٥ : ٣ و ٤ ؛ ٦ : ١٢ و ١٣ ) .

واليوم ، بعد مضي قرون عديدة على هذا الحدث يحتاج المؤمنون أن يقدرُوا من جديد الموقف الشجاع للرسول بولس وجماعته ، والذي اتخذهُ من أجل حرية الإنجيل ، ولا سيما أن اهتمام الرسول كان حول « حق الإنجيل » ( غل ٢ : ٥ و ١٤ ) ، وليس « سلام الكنيسة » . فكما نعلم أن الحكمة التي يعطيها الله من فوق هي « أولاً طاهرة ثم مسالمة » ( يع ٣ : ١٧ ) . أما « السلام بأي ثمن » فلم يكن من فلسفة خدمة الرسول بولس ، ولا يجب أن يكون فلسفتنا نحن أيضاً !

ومنذ وقت الرسول وحتى الآن نجد أعداء النعمة لا يزالون يحاولون إضافة شيء ما إلى الإنجيل البسيط لنعمة الله ، ويقولون إن الإنسان يخلص بالإيمان بالمسيح بالإضافة إلى شيء ما مثل الأعمال الصالحة ، أو اتباع الوصايا العشر ، أو المعمودية ، أو عضوية الكنيسة ، أو أية ممارسات دينية أخرى . لكن الرسول بولس يوضح أن هؤلاء المعلمين مخطئون ، بل في الواقع يعلن الرسول أن هناك لعنة ستلحق بأي شخص ( إنسان أو ملاك ) سيعلم بأي إنجيل آخر غير إنجيل نعمة الله الذي مركزه شخص الرب يسوع المسيح ( غل ١ : ٦ - ٩ انظر تعريف الإنجيل في ١ كو ١٥ : ١ - ٧ ) . فما أخطر التلاعب بالإنجيل !

### ثالثاً : الموقف الثالث .. التأكيد الشخصي

( غل ٢ : ٦ - ١٠ )

كان المتهودون يرجون أن يعترض قادة كنيسة أورشليم على بولس . لكن بالعكس ، فإن الرسول قد أوضح أنه لم يتأثر لا بالأشخاص ولا بمواقف قادة

الكنيسة - وإن كان يحترمهم جميعاً وإلا لما سعى لمشورتهم بصفة خاصة - كما لم يخف منهم ولم يحاول كسب تأثيرهم ، وكل ما أرادهم هو أن يتعرفوا على « نعمة الله » التي عملت في حياته وخدمته ( غل ٢ : ٩ ) ، وهذا ما فعلوه حقاً .

لم يكتف المجمع بالموافقة على إنجيل الرسول بولس ومعارضة أعدائه ، بل قاموا بتشجيع خدمته ، واعترفوا علانية أن الله قد استودع الجانب الأُممي من عمله في يدي بولس . ولم يضيفوا شيئاً إلى رسالته أو خدمته ، كما لم يتجاسروا أن يحدفوا شيئاً أيضاً ، بل كان هناك اتفاق واتحاد في الرأي على أن يُنادى بإنجيل واحد سواء لليهود أو للأمم .

كذلك أدرك القادة أن الله قد عين مناطق مختلفة للخدمة يقوم بها أناس مختلفون . وبغض النظر عن زيارة الرسول بطرس لكرنيليوس ( أع ١٠ ) ، وللسامرة ( أع ٨ ) فقد ركز بطرس خدمته أساساً بين اليهود . واعتبر بولس هو المدعو من الله سفيراً خاصاً للأمم ، وهكذا تم الاتفاق على أن يقوم كل واحد بالخدمة في الدائرة المعينة له من الله .

إن « إنجيل الختان » و « إنجيل الغرلة » ليسا رسالتين مختلفتين ، فقد تم الاتفاق مسبقاً على وجود إنجيل واحد ، وإنما نحن الآن بصدد دائرتين مختلفتين للخدمة ؛ واحدة لليهود ، والأخرى للأمم . أما الرسولان بطرس وبولس فكلهما كرز بذات الإنجيل الواحد ، وبرب واحد الذي عمل بهما ومن خلالهما ( غل ٢ : ٨ ) ، لكنهما بشرا شعباً مختلفاً .

ولا يعني ذلك أن الرسول بولس لم يسع قط لربح اليهود ، بل بالعكس لقد كان ينوء بحمل ثقل من جهة شعبه ( رو ٩ : ١ - ٣ ) . والواقع أن بولس كلما كان يذهب إلى مدينة كان يتوجه أولاً إلى المجمع اليهودي - إن وجد - ويبدأ عمله بين أفراد أمته .

كذلك لم يستثن الرسول بطرس من خدمة الأمميين ، إلا أن كلاهما قد ركز عمله في دائرته الخاصة المعينة له من الروح القدس ؛ فتوجه الرسل يعقوب وبطرس ويوحنا إلى اليهود ، والرسول بولس إلى الأمم ( غل ٢ : ٩ ) ، الذين منهم الوثنيون ، حيث كلمة « وثني » كانت تعني أممياً .

لقد بدأ اجتماع أورشليم باحتمال كبير للانقسام والانشقاق ، لكنه انتهى بالتعاون والاتفاق ، وتم فيه القول : « هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن

الإخوة معاً » .. أي في وحدة ( مز ١٣٣ : ١ ) . ولعلنا نحتاج في هذه الأيام إلى مثل هذا التعاون .

نحن أيضاً نحتاج لإدراك أن الله يدعو الناس إلى خدمات مختلفة في أماكن مختلفة ، إلا أن الكل يركزون بإنجيل واحد ، ويسعون للعمل معاً لبناء كنيسة الله . ويجب ألا تكون هناك « منافسة » بين الذين يحبون المسيح ويعرفونه . لقد كان الرسول بطرس رجلاً عظيماً - وربما مقدام الرسل - إلا أنه فتح المجال بسرور إلى القادم الجديد .. الرسول بولس ، وسمح له بالاستمرار في خدمته كما قاده الرب . بالرغم من أن الرسول بولس قد شرح مسبقاً استقلاله عن الرسل ( غل ١ ) ، إلا أنه أشار في الأصحاح الثاني إلى تعاونه مع بقية الرسل . لقد كان حراً ، لكنه كان خاضعاً في شركة متبادلة مع باقي الرسل في خدمة الإنجيل .

ثم نتقدم الآن من الجانب اللاهوتي إلى العملي .. أي مساعدة الفقراء ( ع ١٠ ) . وما من شك أن هذين الأمرين يسيران معاً ؛ فالتعليم الصحيح لا يغني أبداً عن الواجب المسيحي ( يع ٢ : ١٤ - ٢٦ ) . ويحدث كثيراً أن نتناقش في اجتماعاتنا الكنسية حول بعض المشاكل ، إلا أننا نفشل في الوصول إلى حل عملي لمساعدة المحتاجين في العالم . أما الرسول بولس فقد كان يهتم دائماً بالفقراء ( أع ١١ : ٢٧ - ٣٠ ) ، ولذلك كان مسرواً أن يتبع اقتراح بقية الرسل .

ومع أن مجمع أورشليم انتهى بالاتفاق بين بولس والقادة إلا أن المشكلة لم تُحل نهائياً ؛ لأن المتهودين لم يستسلموا بل تعقبوا الرسول وتدخلوا في الكنائس التي أسسها . ولابد أنهم وصلوا إلى غلاطية ؛ مما اضطر الرسول إلى الكتابة إليهم من أنطاكية بعد مجمع أورشليم بقليل ، وإن كان البعض يرجح أن الرسالة كُتبت بعد ذلك من أفسس أو من كورنثوس . لقد أُسدل الستار عن تلك الأحداث لكي يُكشف مرة أخرى عن أحداث أخرى ، حيث يقوم المدافع نفسه عن حق الإنجيل بالدفاع أمام الرسول بطرس .

ولعل هذه التفاصيل التاريخية هامة ، لكنها ليست حيوية لفهم الرسالة ذاتها . ويكفي القول بأن هذه الرسالة ربما هي الأولى بالنسبة لكتبتها ، ونجد فيها كل التعاليم الكبرى التي آمن بها الرسول ونادى بها ، وكتب عنها في خدمته بعد ذلك .

## المحارب من أجل الحرية الجزء الثاني

غلاطية ٢ : ١١ - ٢١

قال « ويندل فيليبس » في اجتماع لمقاومة الرق في ماساشوستس عام ١٨٥٢ :  
” إن اليقظة الأبديّة هي ثمن الحرية ! “ وقد لا ينطبق معنى هذا القول اليوم على  
المجال السياسي فحسب بل أيضاً في المجال الروحي . فلقد خاطر الرسول بولس  
بحياته لكي يحمل إنجيل نعمة الله إلى أماكن مختلفة ، ولم يسمح للعدو أن يسلبه  
أو يسلب كنائسه حريتهم في المسيح . وبسبب تلك اليقظة الروحية حدثت مواجهة  
مثيرة هذه المرة مع الرسولين بطرس وبرنابا وبعض أصدقاء الرسول يعقوب ،  
وتم ذلك أيضاً على ثلاث مراحل كما يلي :

### أولاً : إذعان الرسول بطرس ( غل ٢ : ١١ - ١٣ )

من الواضح أنه بعد انتهاء مجمع أورشليم الهام بوقت قليل - المذكور في  
أعمال ١٥ - أتى الرسول بطرس إلى أنطاكية . وأول ما نلاحظه هو حرية تعامله  
آنذاك في شركة مع كل المؤمنين هناك يهود وأمم . وبما أنه « أكل مع الأمم »  
فهذا كان يعني قبوله لهم ، ووضعهم في مستوى واحد مع اليهود كعائلة واحدة  
في المسيح .

أما بطرس الذي تربى كيهودي محافظ فقد مر بوقت صعب حتى تعلّم ذلك  
الدرس ، الذي علّمه إياه الرب يسوع قبل الصلب ( مت ١٥ : ١ - ٢٠ ) ، ثم  
أكده له الروح القدس مرة أخرى عندما ذهب إلى بيت كرنيليوس القائد الروماني

( أع ١٠ ) .. هذا بالإضافة إلى موافقة مجمع القادة في اورشليم على هذا الحق ، حيث كان الرسول بطرس نفسه أحد الشهود الرئيسيين في ذلك الوقت ( أع ١٥ ) .

لكن قبل أن ننتقد تصرف الرسول بطرس يجب أن نفحص حياتنا الشخصية لكي نقف بحق على كمية التعاليم الكتابية التي نطيعها فعلاً . فعلى مدى تاريخ الكنيسة سوف نرى أنه بالرغم من وجود الكتاب المقدس الكامل فإن مؤمنين كثيرين كانوا مبطلين جداً في الإيمان أو الممارسة لحقائق الحياة المسيحية . وإذا فكرنا في كم الممارسات والاضطهاد أو التمييز التي تتم باسم المسيح .. فإن الأمر سيكون محرّجاً لنا بلا شك . وهنا يجب التفرقة بين الدفاع عن تعليم ما في أحد اجتماعات الكنيسة ، وبين التطبيق العملي لذلك التعليم في الحياة اليومية . لقد كانت حرية الرسول بطرس مهددة بسبب خوفه . فبينما كان في أنطاكية زار قوم من عند الرسول يعقوب الكنيسة هناك ( غل ٢ : ١٢ ) ، ولا ننسى أن يعقوب كان يهودياً ملتزماً . ولا يقول الرسول بولس أن هؤلاء قد حضروا لكي يفحصوا بطرس أو أنهم كانوا مندوبين أمميين من كنيسة اورشليم ، فلا بد أنهم كانوا من « جماعة الختان » ( أع ١٥ : ١ وه ) الذين أرادوا أن يقودوا كنيسة أنطاكية إلى الناموسية .

فبعد زيارته لكرنيليوس أستدعي الرسول بطرس للشهادة وكان قادراً على الدفاع عن نفسه ( أع ١١ ) ، لكنه خاف هذه المرة ، مع أنه لم يخف قط أن يطيع الروح القدس عندما أرسله إلى كرنيليوس ، ولم يتخوف أن يقدم شهادته أمام مجمع اورشليم لكنه تخلى الآن عن شجاعته أمام بعض أعضاء المعارضة .. « خشية الإنسان تضع شركاً » ( أم ٢٩ : ٢٥ ) .

لكن كيف يمكن تفسير ذلك الخوف ؟ نحن نعلم أن الرسول بطرس كان يتصف بالاندفاع ، فتارة يظهر إيماناً مدهشاً وشجاعة نادرة ، ومرة أخرى يفشل في ذلك تماماً . لقد مشى على أمواج الماء ثم خاف من الغرق ، وبعدما افتخر في العلية بأن يموت مع الرب يسوع أنكره ثلاث مرات . لكن بطرس يظهر بصورة أكثر ثباتاً في سفر الأعمال عما كان عليه في البشائر الأربع ، إلا أنه لم يصل إلى الكمال ، ولا نحن كذلك ! وهكذا قاد الخوف بطرس إلى السقوط ، وتوقف عن التمتع « بوليمة المحبة » مع المؤمنين الأمميين وفصل نفسه عنهم . هناك أمران مؤسفان في خطأ بطرس : أولهما أنه جعل من نفسه مرأياً ،

فقد ادعى أنه تصرف بدافع الإخلاص بينما كان تصرفه بدافع الخوف ! وما أسهل أن نستخدم « تعليمًا كتابيًا » لكي نستتر به عصياننا .

أما الأمر الثاني أنه قاد آخرين معه إلى الخطأ ، ومن بينهم برنابا نفسه - وهو الذي كان قائداً روحياً في كنيسة أنطاكية ( أع ١١ : ١٩ - ٢٦ ) . وهكذا أثر موقفه على شركة الآخرين .

وإذا افترضنا أن بطرس وبرنابا كسبا المعركة وقادا الكنيسة إلى الناموسية ، فماذا كان يمكن أن تكون النتائج ؟ وهل كان يمكن أن تبقى كنيسة أنطاكية الكنيسة الإرسالية العظيمة التي أرسلت بولس وبرنابا ( أع ١٣ ) ؟ أو أنها كانت سترسل المرسلين من جماعة الختان مما كان سيتسبب في انقسام الكنائس التي أسسها بولس ؟ ولعله من الملاحظ أن تلك مشكلة لم تكن تتعلق بشخص أو جماعة ، لكنها كانت تتعلق « بحق الإنجيل » ، وهو ما كان بولس مستعداً للدفاع عنه .

## ثانياً : توبيخ الرسول بولس

( غل ٢ : ١٤ - ٢١ )

يختلف دارسو الكتاب حول المكان الذي انتهى فيه حوار الرسولين بولس وبطرس ، وبين الاسترسال في بقية الرسالة . ولا يهمننا هذا الأمر كثيراً طالما أن هذا الجزء كله يتصل بالموضوع ذاته - ألا وهو حريتنا في الرب يسوع المسيح . وما يهمننا أن توبيخ الرسول بولس للرسول بطرس كان مبنياً على تعليم ، وقد كان هناك خمسة تعاليم مسيحية أساسية أنكرها الرسول بطرس عندما أفرز نفسه عن الأمم ، وهي :

(١) وحدة الكنيسة (ع ١٤) : كان بطرس يهودياً ، لكن من خلال إيمانه بالمسيح صار مسيحياً . وبالتالي أصبح جزءاً من الكنيسة ، ولا يوجد تمييز عنصري في الكنيسة ( غل ٣ : ٢٨ ) . وقد سبق لبطرس أن تلقى ذلك الدرس أولاً في بيت كرنيليوس ، ثم عندما أقر أمام مجمع أورشليم أن الله « لم يميز بيننا وبينهم بشيء » ( أع ١٥ : ٩ ) ، لكنه الآن يضع تمييزاً وفاقاً !

إن شعب الله هو شعب واحد ، حتى لو انقسم إلى مجموعات مختلفة . أما إذا كانت هناك أية ممارسة تؤدي إلى انتهاك المكتوب ، وتعزل الأخ عن أخيه فهذا إنكار لوحدة جسد المسيح .



(٢) **التبرير بالإيمان** (ع ١٥ و ١٦) : تظهر هنا لأول مرة في كتابات الرسول بولس - إذا اعتبرنا أن هذه الرسالة هي الأولى في زمن كتابتها - أهمية كلمة « التبرير » . إن « التبرير بالإيمان » كان نقطة تحول هامة في حركة الإصلاح الكنسي ، ومن المهم أن نفهم هذا التعليم .

لقد سأل أيوب هذا السؤال الحيوي : « كيف يتبرر الإنسان ( أى إنسان ) عند الله » ( أى ٩ : ٢ ) ؛ لأن الإجابة تترتب عليها نتائج أبدية . وكانت إجابة الله : « البار بإيمانه يحيا » ( حب ٢ : ٤ ) . ولأن هذا المفهوم هام جداً فهناك ثلاثة أجزاء في العهد الجديد تشرح لنا ذلك المبدأ ( رو ١ : ١٧ ؛ غل ٣ : ١١ ؛ عب ١٠ : ٢٨ ) . فرسالة رومية تفسر لنا معنى « البار » ، ورسالة غلاطية تفسر كلمة « يحيا » ، ورسالة العبرانيين تفسر كلمة « بالإيمان » .

لكن ما هو التبرير ؟ إن التبرير هو عمل الله الذي يعلن به أن الخاطئ قد أصبح مبرراً في يسوع المسيح ، وكل كلمة من هذا التعريف هامة . فالتبرير فعل في حد ذاته ، وليس عملية تدريجية . وهنا « يتساوى » المؤمنون في البر : « فإذا قد تبررنا بالإيمان ( وتعنى الترجمة الحرفية حدوث ذلك مرة واحدة فقط ) لنا سلام مع الله » ( رو ٥ : ١ ) . وبما أننا متبررون بالإيمان فهو إذاً عمل فوري ومباشر بين الله والخاطئ التائب . أما إذا كان التبرير بالأعمال فلا بد أن يكون عملية تدريجية .

علاوة على ذلك ، فإن التبرير عمل إلهي وليس نتيجة لشخصية أو أعمال الإنسان « الله هو الذي يبرر » ( رو ٨ : ٣٣ ) ، فليس بأعمال الناموس يحصل الخاطئ على موقف « بار » أمام الله ، لكن بالإيمان بالرب يسوع المسيح . وكما سنرى فإن الرسول بولس سوف يشرح في هذه الرسالة كيف أن الناموس قد أُعطى لكي يكشف الخطية لا لكي يفدي من الخطية ( انظر رو ٣ : ٢٠ ) . فالله في نعمته قد وضع خطايانا على المسيح ، وهكذا حسب لنا بر المسيح ( انظر ٢ كو ٥ : ٢١ ) .

في التبرير يعلن الله بر الخاطئ الذي آمن ، لكن لا يجعله باراً . ( بالطبع فإن التبرير الحقيقي يقود إلى حياة متغيرة ، وهذا ما يتحدث عنه يعقوب أصحاب ٢ ) . وقبل أن يؤمن الخاطئ بالمسيح فإنه يقف مذنباً أمام الله ، لكن في اللحظة التي يؤمن فيها بالمسيح يُعلن بأنه غير مذنب ، ولا يعد مذنباً فيما بعد !

كما أن التبرير لا يعني ببساطة « الغفران » : ذلك لأن الشخص الذي غُفر له بعدما يتمتع بالغفران قد يعود يخطئ ويصبح مذنباً مرة أخرى ! أما إذا « تبررت بالإيمان » فلا يمكن أن تصبح مذنباً أبداً أمام الله .

أيضاً يختلف التبرير عن « الصّفح » : ذلك لأن المجرم المصفح عنه لا يزال يحمل سجل جريمته . أما الخاطئ المبرر بالإيمان فإن خطايا السالفة لا يعود لها ذكر ولا يسجلها الله عليه ( مز ٣٢ : ١ و ٢ ؛ رو ٤ : ١ - ٨ ) .

أخيراً فإن الله يبرر الخطاة ، وليس « الصالحين » . وقد أعلن الرسول أن الله يبرر « الفجار » ( رو ٤ : ٥ ) .. أما السبب الذي من أجله لا يتبرر معظم الخطاة فهو لأنهم لا يعترفون بأنهم خطاة ! والخطاة هم فقط الذين يمكن أن يخلصهم الرب يسوع المسيح ! ( مت ٩ : ٩ - ١٣ ؛ لو ١٨ : ٩ - ١٤ ) .

عندما أفرز الرسول بطرس نفسه عن الأمم كان بذلك ينكر حقيقة التبرير بالإيمان وكأنه يقول : " نحن اليهود مختلفون عن الأمم بل وأفضل منهم ! " بينما الواقع يؤكد أن كلاً من اليهود والأمم خطاة ( رو ٣ : ٢٢ و ٢٣ ) ، ولا يمكن أن يخلصوا سوى بالإيمان بالمسيح .

(٣) **التحرر من الناموس (ع ١٧ و ١٨) :** في مجمع أورشليم شبه الرسول بطرس الناموس بالنير الثقيل ( أع ١٥ : ١٠ ؛ انظر غل ٥ : ١ ) ، لكنه الآن وضع نفسه تحت ذلك النير الصعب .

ولعلنا نعيد صياغة حديث الرسول بولس إلى الرسول بطرس كما يلي : " إن كلاً منا لم يجد خلاصاً في الناموس ، بل وجدناه في الإيمان بيسوع المسيح . فكيف الآن بعد أن خلصت تريد العودة ثانية إلى الناموس ؟! هذا يعني أن المسيح وحده لم يخلصك وإلا لما احتجت إلى الناموس ، وهكذا كأن المسيح هو الذي قد جعلك خاطئاً ! " .

" علاوة على ذلك ، لقد كرزت بإنجيل نعمة الله إلى اليهود والأمم ، وقلت لهم إنهم يخلصون بالإيمان وليس بحفظ الناموس . لكن بعودتك إلى الناموسية فكأنك إنما تبني ما قد سبقت وهدمته ، وهذا يعني أنك أخطأت بأن تجاهلت ما تريد أن تبدأ به الآن ! " .

بكلمات أخرى لقد قدم بولس حجته من اختبار الرسول بطرس لنعمة الله .. فالعودة إلى ناموس موسى كانت تعني إنكار كل ما عمله الله من أجله ومن خلاله .

(٤) الإنجيل ذاته (ع ١٩ و ٢٠) : إن كان الإنسان يتبرر بأعمال الناموس

فلماذا مات المسيح ؟ إن موت المسيح وقيامته هما محور حقائق الإنجيل ( ١ كو ١٥ : ١ - ٨ ) . فنحن نخلص بالإيمان بالمسيح الذي مات من أجلنا ، ونحيا بالإيمان بالمسيح الذي يحيا فينا وفوق ذلك إننا نتمثل بالمسيح بالروح القدس حتى إننا متنا معه ( انظر رو ٦ ) . هذا يعني أننا متنا للناموس ، والعودة إليه معناها العودة إلى القبر ! لكننا قد قمنا لكي « نسلك في جدة الحياة » ( رو ٦ : ٤ ) ؛ وبما إننا نعيش بقوة قيامته فلا حاجة لنا إلى « معونة » الناموس .

(٥) نعمة الله (ع ٢١) : لقد أراد المتهودون أن يخلطوا النعمة بالناموس ،

لكن الرسول بولس يخبرنا أن ذلك مستحيل . فالعودة للناموس تعني ترك نعمة الله جانباً . لقد اختبر الرسول بطرس نعمة الله في خلاصه الشخصي ، وأعلن نعمة الله في خدمته ، لكن عندما انسحب من الشركة مع المؤمنين الأمميين أنكر بذلك نعمة الله علانية .

إن النعمة تعني : " إنه لا فرق على أساس الأجناس ! فالجميع خطاة ويمكنهم الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح ! " أما تصرفات بطرس فكانت تقول : " إن هناك فرقاً ! ونعمة الله ليست كافية ، وأننا لازلنا نحتاج إلى الناموس أيضاً ! " إن العودة للناموس تبطل الصليب ؛ « لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب » ( غل ٢ : ٢١ ) ، وإذا كان الناموس يقول : « اعمل » فالنعمة تقول : « تم العمل » ! ولنتذكر صيحة نصرته المسيح على الصليب : « قد أكمل » ( يو ١٩ : ٣٠ ) .. « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان » ( أف ٢ : ٨ ) .

وإن لم يكن لدينا تسجيل لإجابة الرسول بطرس لكن كلمة الله تعطينا انطباعاً بأنه اعترف بخطأه ، وانضم إلى شركة جماعة المؤمنين مره أخرى . وعندما نقرأ رسالتيه لا نجد حيداً عن إنجيل نعمة الله . فالواقع أن موضوع الرسالة الأولى هو : « نعمة الله الحقيقية » ( ١ بط ٥ : ١٢ ) ، وقد تكررت كلمة النعمة في كل أصحاباتها الخمسة . وفي رسالته الثانية كان الرسول بطرس حريصاً على ذكر أنه متفق تماماً مع الرسول بولس ؛ حتى لا يحاول أحد أن يوقع بينهما ( ٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦ ) .

والآن بعد نهاية هذين الجانبين من تلك الحادثة المثيرة ، لم يسدل الستار بعد ؛ إذ بقي جانب ثالث يشملني ويشملك .

## ثالثاً : تجاوب المؤمن

نحن نعرف أن الرسول بطرس تجاوب مع تحدي العيش بحق الإنجيل بالخوف والفشل . أما تجاوب الرسول بولس عندما رأى أن الإنجيل يضعف فقد اتسم بالشجاعة والدفاع . إلا أن السؤال الهام اليوم هو : « ترى كيف أتناوب أنا شخصياً مع حق الإنجيل ؟ » وربما يجدر بنا الوقوف هنا قليلاً لنفحص أنفسنا قبل الاسترسال في دراسة شرح القسم اللاهوتي في هذه الرسالة ، وسوف أقترح بعض الأسئلة لتجيب عليها شخصياً :

(١١) هل خلصت بنعمة الله ؟ إن الإنجيل الوحيد القادر على أن يخلص هو إنجيل نعمة الله كما أعلن في يسوع المسيح ، وكل إنجيل آخر هو زائف وتحت اللعنة ( غل ١ : ٦ - ٩ ) . فهل أثق في نفسي من أجل الخلاص ، أو في أخلاقي ومبادئ ، أو في أعمالي الصالحة ، أو حتى في تديني ؟ إن كان الأمر كذلك .. إذاً فأنا لست مؤمناً بعد ؛ لأن المسيحي الحقيقي هو الذي يضع ثقته في شخص المسيح وحده : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » ( أف ٢ : ٨ و ٩ ) .

(٢١) هل أحاول أن أخطئ الناموس مع النعمة ؟ الناموس يعني أنه لا بد أن أفعل شيئاً لكي أرضي الله ، بينما النعمة تعني أن الله قد أكمل كل العمل من أجلي ولا أحتاج إلا إلى الإيمان بالمسيح . إننا لا نخلص بالإيمان بالمسيح بالإضافة إلى شيء آخر ؛ فالخلاص هو بالإيمان بالمسيح فقط .

إن الانتماء لعضوية الكنيسة ، وممارسة النشاطات الدينية هي أمور صالحة في مكانها كتعبير عملي عن الإيمان بالمسيح ، لكنها لا تضيف شيئاً على الإطلاق إلى الإيمان بالمسيح حتى تضمن لنا الحياة الأبدية . « فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال . وإلا فليست النعمة بعد نعمة . وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة . وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً » ( رو ١١ : ٦ ) .

(٣١) هل أفرح وأبتهج بحقيقة تبريري بالإيمان في المسيح ؟ إن المتبرر يصبح وكأنه لم يخطئ من قبل ، وهذا صحيح . كما أن التبرير ينتج عنه سلام عظيم بسبب حق الوقوف أمام الله ( رو ٥ : ١ ) . فكر فقط أن بر المسيح قد وُضع لحسابنا ؛ ومن ثم يتعامل الله معنا وكأننا لم نخطئ ! وهكذا لا نخاف من الدينونة لأن خطايانا قد أديننت في المسيح على الصليب ( رو ٨ : ١ ) .

(٤) هل أسلك في حرية النعمة ؟ الحرية هنا ليست ترخيصاً عاماً ، بل هي الحرية في المسيح لكي نتمتع به ونصبح كما أراد هو لنا أن نكون عليه ( أف ٢ : ١٠ ) . فهذه الحرية لا تعني فقط « أنك حر أن تفعل » ، بل تعني أيضاً : « أنك حر ألا تفعل » ! فنحن لم نعد بعد تحت عبودية الخطية أو الناموس . كما سيشرح الرسول في الجزء العملي من هذه الرسالة ( الأصحاحات ٥ و ٦ ) : إننا نطيع الله بسبب المحبة وليس بسبب الناموس . إن المؤمنين يستمتعون بحرية رائعة في المسيح ، فهل أستمتع بها أنا أيضاً ؟

(٥) هل أنا مستعد للدفاع عن حق الإنجيل ؟ هذا لا يعني أن نقيم أنفسنا مراقبين لنفحص كل الكنائس والاجتماعات ، بل يعني ألا نخاف الناس عندما ينكرون الحقائق التي نلنا بها الحياة الأبدية في المسيح .  
تُرى هل « أطلب أن أرضي الناس ؟ » « فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح » ( غل ١ : ١٠ ) .

كثيرون ممن نقابلهم يؤمنون أنهم مخلصون بالإيمان بيسوع المسيح بالإضافة إلى الأعمال الصالحة ، وحفظ الوصايا العشر ... والطاعة للموعظة على الجبل ، وربما أمور أخرى دينية !! ونحن قد لا يكون لدينا نفس السلطان الرسولي الذي كان لبولس ، لكن لدينا كلمة الله نفسها لنشهد بها ، وإعلان الحق الكتابي هو التزام كل مؤمن .

(٦) هل أسلك باستقامة بحسب حق الإنجيل ؟ إن أفضل وسيلة للدفاع عن الحق هي السلوك بالحق . فمهما كانت قوة دفاعي عن الإنجيل بالكلام فإن تأثير ذلك سيكون ضعيفاً طالما أنه يتعارض مع أفعالي . وسوف يشرح لنا الرسول بولس كيفية الحياة في الحرية بنعمة الله ، ومن المهم أن نطيع ما يقوله لنا .

بينما كان أحد العمال الفنيين الجدد يتدرب على كيفية قياس بعض أجزاء حمامات معدنية للتأكد من مطابقتها للحجم القياسي ، تلقى رئيسه شكوى عن عدم تماثل تلك الأجزاء بعد فترة وجيزة .

فسأله الرئيس : " لقد أرشدتك عن كيفية استعمال جهاز القياس ، فلماذا أرسلت أجزاء أكبر حجماً ؟ "

فأجاب العامل : " لقد كانت معظم الأجزاء التي فحصتها كبيرة الحجم لذلك وسعت قليلاً من جهاز القياس نفسه ! "

إن تغيير المقاييس والأسس لا يؤدي إلى النجاح ، سواء في الصناعة أو في الخدمة . لكن الرسول بولس استطاع أن يحافظ على أسس ومقاييس « حق الإنجيل » ، وهذا ما يجب أن نفعله نحن أيضاً .



# ثانيًا : القسم التعليمي

النعمة والناموس

الأصحاحان الثالث والرابع





## مخدوعون ومتحIRON

غلاطية ٣ : ١ - ١٤

إن الستين عددًا الذين يكونون غلاطية ٣ و ٤ ، تمثل أقوى الكتابات التي سجلها الرسول بولس على الإطلاق . لقد كان يخوض معركة بالفعل ليبرهن أن الخلاص بالنعمة وحدها ، وليس بأعمال الناموس ! وقد استخدم خصومه كل الوسائل الممكنة ليؤثروا على كنائس غلاطية ، لكن الرسول لم يقف مكتوف الأيدي إزاء هذا ؛ إذ لم تعوزه الخبرة عندما حان الوقت للرد على خصومه . وفي هذين الأصحاحين برهن بكل تأكيد على براعته في الرد ؛ فقد كان من المستحيل مهاجمة المنطق الذي تحدث به .

لقد استخدم الرسول ست حجج مختلفة ليبرهن أن الخلاص بالإيمان بالمسيح ، وليس بأعمال الناموس . وقد بدأ بالبرهان الشخصي ( غل ٣ : ١ - ٥ ) ، حيث طلب من أهل غلاطية أن يتذكروا اختبارهم الشخصي مع المسيح حينما خلصوا . ثم انتقل إلى البرهان الكتابي ( غل ٣ : ٦ - ١٤ ) ، واقتبس فيه ستة أجزاء من العهد القديم لإثبات وجهة نظره . ثم بالبرهان المنطقي ( غل ٣ : ١٥ - ٢٩ ) ناقش مع قرائه ما هو العهد ، وما هو عمله . وأخيرًا قدم البرهان التاريخي ( غل ٤ : ١ - ١١ ) موضحًا مكان الناموس في تاريخ إسرائيل .

عند هذه النقطة تظهر محبة الرسول بوضوح لمن ربحهم للإيمان ، وقد قاده ذلك إلى البرهان الوجداني ( أو العاطفي ) ( غل ٤ : ١٢ - ١٨ ) . فقد طلب منهم أن يتذكروا محبته وعلاقتهم القوية في الماضي . ثم ينتقل الرسول بسرعة إلى السبب الأخير الذي يختم به وهو البرهان المجازي ( أو الرمزي ) ( غل ٤ : ١٩ - ٣١ ) ، وقد اعتمد فيه على حياة إبراهيم وعلاقته مع سارة وهاجر . أما التطبيق العملي لبرهانه التعليمي فيأتي في الأصحاحين الآخرين من الرسالة .

## أولاً : البرهان الشخصي

( غل ٣ : ١ - ٥ )

يأتي مفتاح هذا الجزء في كلمة « احتملت » ( غل ٣ : ٤ ) ، ويمكن ترجمتها « اختبرت » . وكأن الرسول يسأل هكذا : " هل اختبرت كل هذا عبثاً ؟ " لقد كان من الحكمة أن يبدأ الرسول ببرهان الاختبار المسيحي : لأنه كان معهم عندما آمنوا بالمسيح . لكن الإثبات عن طريق الاختبار يعتبر بالطبع أمراً خطراً ؛ لأن الاختبار يمكن تزيفه ومن ثمَّ سيئون فهمه . فالاختبار العملي يجب أن يوضع بجانبه البرهان الموضوعي ؛ لأن الاختبار قد يتغير لكن الحق لا يتغير أبداً . وهنا يوازن الرسول بين الاختبار الموضوعي لمؤمن غلاطية وبين تعليم كلمة الله الذي لا يتغير ( غل ٣ : ٦ - ١٤ ) .

لقد كان واضحاً أن أولئك الناس اختبروا شيئاً ما في حياتهم عندما زارهم الرسول بولس لأول مرة . إلا أن المتهودين كانوا قد وصلوا إليهم وأقنعوهم بأن اختبارهم لم يكن كاملاً ، وأنهم يحتاجون إلى شيء آخر ، وأن هذا « الشيء الآخر » هو الطاعة لناموس موسى . وهكذا فعل المتهودون معهم فقد فتنوهم ( خدعوهم ) وصيروهم أغبياء .

لا تعتبر كلمة « أغبياء » التي استخدمها الرسول بولس انتهاكاً منه لكلمات المسيح في العظة على الجبل ( مت ٥ : ٢٢ ) ؛ لأن هناك كلمتين مختلفتين مستخدمتين تُعبران عن فكرتين مختلفتين . فكلمة « غبي » في ( غل ٣ : ١ ) تعني « الغباء الروحي » ( انظر لوقا ٢٤ : ٢٥ ) . أما الكلمة التي استخدمها الرب يسوع فهي تحمل معنى « الإنسان الفاجر » . وقد كان الرسول بولس يصف حقيقة ، أما الرب يسوع فكان يحذر من السب بكلمة « غبي » ! لقد ذكرهم الرسول بولس أنهم قد اختبروا العلاقة مع الله فعلاً .

(١) لقد شاهدوا ابن الله ( ع ١ ) : أي « المسيح وإياه مصلوباً » ، وهو الذي بشر به الرسول في غلاطية بطريقة مؤثرة حتى أنهم كادوا يرونه مصلوباً عنهم على الصليب .

إن كلمة « رُسَم » في الأصل اليوناني تعني رسم يُعرض للعامة ، أو يُعرض على لوحة إعلان . مثلما نعلق المعلومات الهامة على لوحة في مكان عام ، هكذا قدم الرسول بولس المسيح علانية إلى الغلاطيين ، مؤكداً بشدة على حقيقة موته

على الصليب لأجل الخطاة . ولقد سمعوا تلك الحقيقة ، وآمنوا بها ، وأطاعوها ،  
والنتيجة أنهم وُلدوا في عائلة الله .

## (٢) لقد قبلوا الله الروح القدس (ع ٢ - ٤) : لقد ورد ذكر الروح القدس

١٨ مرة في هذه الرسالة ، إذ قام بدور هام في دفاع بولس عن إنجيل نعمة الله .  
ولعل البرهان الحقيقي الأوضح للتوبة والتغيير هو سكنى الروح القدس في حياة  
المؤمن ( انظر رومية ٨ : ٩ ) . وهنا كان سؤال الرسول الهام : " هل قبلوا  
الروح القدس بخبر الإيمان أم بأعمال الناموس ؟ " وبالطبع كانت هناك إجابة  
واحدة وهي أن الروح أتى إلى حياتهم لأنهم آمنوا بالرب يسوع المسيح .

من المهم جداً أن نفهم عمل الروح القدس في الخلاص وفي الحياة المسيحية .  
فهو أولاً يبيكت الخاطئ الضال ويعلم له المسيح ( يو ١٦ : ٧ - ١١ ) . لكن  
الخاطئ يمكن أن يقاوم عمل الروح ( أع ٧ : ٥١ ) ، أو يخضع له ويؤمن بالرب  
يسوع . فعندما يؤمن الخاطئ بالمسيح عندئذ يولد من الروح ( يو ٣ : ١ - ٨ )  
ويقبل الحياة الجديدة ، وهكذا يعتمد بالروح ، ويصبح جزءاً من جسد المسيح  
( ١ كو ١٢ : ١٢ - ١٤ ) . كما أن المؤمن يُختم بالروح ( أف ١ : ١٣ و ١٤ )  
كتأكيد أنه يوماً ما سوف يشارك في مجد المسيح .

وبما أن الروح القدس يفعل هذا كله من أجل المؤمن ، فهذا يعني أن هناك  
مسئولية على المؤمن تجاه الروح القدس الذي يسكن في جسده ( ١ كو ٦ : ١٩ :  
و ٢٠ ) . فالمؤمن يجب أن يسلك بالروح ( غل ٥ : ١٦ و ٢٥ ) .. بقراءة الكلمة ،  
والصلاة ، وطاعة إرادة الله . أما إذا لم يُطع الله فحينئذ يُحزن الروح ( أف ٤ :  
٣٠ ) ، وإذا استمر يفعل ذلك فإنه قد يُطفئ الروح ( ١ تس ٥ : ١٩ ) . لكن  
هذا لا يعني أن الروح القدس سيتركه : لأن الرب يسوع قد وعد بأن يمكث الروح  
القدس مع المؤمنين إلى الأبد ( يو ١٤ : ١٦ ) ، لكنه يعني أن الروح القدس لا  
يستطيع أن يملأه بالفرح والقوة التي يحتاجها لحياته المسيحية اليومية . ثم إن  
المؤمنين يجب أن يمتلئوا بالروح القدس ( أف ٥ : ١٨ - ٢١ ) ، وهذا يعني  
ببساطة قيادة الروح القدس لحياتهم ، واستمرار هذا الاختبار يعني الشرب  
المستمر من نبع مياه نقية ( يو ٧ : ٣٧ - ٣٩ ) .

وهكذا فإن الغلاطيين قد قبلوا الروح القدس بالإيمان وليس بأعمال الناموس ،  
مما قاد الرسول إلى سؤال آخر : " طالما أنكم لم تبدأوا بالناموس .. فلماذا

تتمسكون به الآن ؟ فإذا كنتم قد بدأتم بالروح ، فهل تستطيعون التقدم إلى النضج بدون الروح اعتماداً على الجسد ؟ " وكلمة « جسد » هنا لا تُشير إلى الجسد البشري ، بل إلى الطبيعة القديمة للمؤمن . وأينما تحدث الكتاب المقدس عن « الجسد » فإنه يعني عادة الجانب السلبي ( انظر تك ٦ : ١ - ٧ ؛ يو ٦ : ٦٣ ؛ رو ٧ : ١٨ ؛ في ٣ : ٣ ) . فإذا كنا قد خلصنا بالروح وليس بالجسد ، وبالإيمان وليس بالناموس ، إذاً فمن المنطقي أن نستمر هكذا .

ويمكن هنا الأخذ بمثال الولادة بالجسد . فكما أنه لا بد من وجود والدين بشريين ليلاد أي طفل هكذا يوجد والدان روحيان ليلاد أي طفل في عائلة الله هما : روح الله وكلمة الله ( يو ٣ : ١ - ٨ ؛ ١ بط ١ : ٢٢ - ٢٥ ) . فالطفل الطبيعي عندما يولد ويتوفر لديه كل ما يحتاجه لأن يحيا ، ليس هناك حاجة لإضافة شيء آخر . هكذا عندما يولد شخص في عائلة الله ، وتتوفر له كل احتياجاته الروحية لن يكون في حاجة لإضافة شيء ! فكل ما يحتاجه كطفل لينمو ويكبر هو الغذاء والحركة والنظافة . نحن لم نسمع عن والدين يذهبان بطفلهما إلى الطبيب بعد شهر من ولادته لكي يحصل له على أذنين ، ويعد شهرين ليحصل على أصابع ؛ وهكذا حتى يكتمل تكوينه !

وهذا ما قصده الرسول بولس عندما كتب قائلاً : « ابتدأتم بالروح » فلا حاجة لإضافة شيء آخر ! ولكن اسلكوا فقط بالروح وعندئذ سوف تنمون في الرب .

(٣) لقد اختبروا معجزات من الله الآب ( ع ٥ ) : تُشير كلمة « الذي » في هذا العدد إلى الله الآب الذي يمنح الروح ، « ويعمل قوات » فيهم . فالروح القدس الذي حل في المؤمن وقت ارتباطه بالمسيح بالإيمان يستمر في العمل فيه ، ومن خلاله حتى يتم بناء الجسد كله ( أف ٤ : ١٦ ؛ كو ٢ : ١٩ ) . وهكذا يستمر الآب في منح الروح القدس بقوة وبركة ، وهذا يحدث بالإيمان وليس بأعمال الناموس . كما أن عبارة « يعمل قوات فيكم » يمكن أن تترجم « يعمل معجزات فيما بينكم » فهي تشمل التغيير العجيب في حياة المؤمنين ، كما تشمل أيضاً الآيات والعجائب التي تحدث داخل شركة الكنيسة .

سأل أحد المتشككين مؤمناً تائباً حديثاً ، كان من قبل سكيراً ، وقال له : " هل تؤمن حقاً بمعجزات الكتاب المقدس ؟ " فأجابه المؤمن : " نعم .. بكل "

تأكيد ! " فضحك المتشكك قائلاً : " هل تعني أنك تؤمن بحق أن يسوع استطاع أن يحول الماء إلى خمر ؟! " فأجابه المؤمن : " بكل تأكيد ؛ لأنه حول في بيتي الخمر إلى طعام ولباس وأثاث !! "

## ثانياً : البرهان الكتابي

( غل ٣ : ٦ - ١٤ )

الآن يتحول الرسول بولس من الحديث عن برهان الاختبار الشخصي إلى الحديث عن البرهان الذي بحسب كلمة الله . نحن لا يجب أبداً أن نحكم على المكتوب باختبارنا ، ولكننا نمتحن اختبارنا بواسطة كلمة الله . في القسم الأول سأل الرسول بولس ستة أسئلة ، وفي هذا القسم يقتبس ستة أقوال من العهد القديم لكي يبرهن على أن الخلاص هو بالإيمان بالمسيح وليس بأعمال الناموس . وحيث أن اليهوديين أرادوا عودة المؤمنين إلى الناموس لذلك اقتبس الرسول بولس أيضاً من الناموس ! وحيث أنهم كانوا يمجدون مكانة إبراهيم في ديانتهم ، استخدمه الرسول كواحد من شهوده !

(١١) لقد خلص إبراهيم بالإيمان (ع ٦ و ٧) : بدأ الرسول بالاعتباس مما كتبه موسى لكي يُظهر أن بر الله قد حُسب لإبراهيم بسبب إيمانه فقط بوعده الله ( تك ١٥ : ٦ ) . وكلمة « حُسِبَ » التي وردت في ( غلاطية ٣ : ٦ ) تتساوى في معناها مع كلمة « فحسبه » التي وردت في ( تكوين ١٥ : ٦ ) ، وأيضاً تتساوى مع كلمة « يُحسب » في ( رومية ٤ : ١١ و ٢٢ - ٢٤ ) . والكلمة تعني في الأصل اليوناني : « أن تودع في حساب شخص » . فعندما يثق الخاطئ في المسيح فإن بر الله يودع في حسابه ، بل أكثر من ذلك فإن خطاياه لا تسجل في هذا الحساب ( انظر رو ٤ : ١ - ٨ ) . وهذا يعني أن يصبح سجل الخاطئ نظيفاً دائماً أمام الله ، لذلك لن يدان المؤمن أبداً لأجل خطاياه .

لقد كان اليهود فخوريين بانتسابهم لإبراهيم ، وكانت المشكلة هي اعتقادهم أن تلك العلاقة قد ضمنت لهم الخلاص الأبدي .. مع أن يوحنا المعمدان قد سبق وحذرهم من أن ذلك النسب الجسدي لا يضمن لهم حياة روحية ( مت ٣ : ٩ ) . كما أن الرب يسوع فرّق - بكل وضوح - بين « نسل إبراهيم » بحسب الجسد ، وبين « أولاد إبراهيم » بحسب الروح . ( يو ٨ : ٣٣ - ٤٧ ) . إن البعض لا

يزالون حتى اليوم يعتقدون أن الخلاص يورث ، فإذا كان الوالدان مؤمنين فإن الأولاد يخلصون تلقائياً ، ولكن هذا غير صحيح لأن الله ليس له « أحفاد » !

(٢) هذا الخلاص هو للأُم (ع ٨ و ٩) : إن كلمة « الأُم » التي وردت في ( غلاطية ٣ : ٨ ) تعني الأُم الوثنية . فقد اقتبس الرسول بولس من كلام موسى قوله : « فيك تتبارك جميع قبائل الأرض » ( تك ١٢ : ٣ ) ، مما يثبت أنه منذ بداية علاقة إبراهيم بالله جاء وعد بركة الخلاص لكل أُم العالم . فقد بشر الله إبراهيم « بالأخبار السارة » .. التي هي الإنجيل .. منذ قرون عديدة جاء الرسول بولس وبشر الغلاطيين بنفس هذه الأخبار السارة أن الخطاة يتبررون بالإيمان وليس بأعمال الناموس . والمنطق هنا واضح : إن كان الله قد وعد بخلاص الأُم عن طريق الإيمان ، فمن الخطأ أن يريد المتهودون عودة مؤمني الأُم إلى الناموس ثانية . فإن « أولاد إبراهيم » الحقيقيين ليسوا اليهود بالنسل الجسدي ، بل هم اليهود والأُم الذين آمنوا بيسوع المسيح ، وكل الذين هم « من الإيمان » ( أي المؤمنين ) يتباركون مع « إبراهيم المؤمن » !

عندما تقرأ عهد الله العظيم مع إبراهيم في ( تك ١٢ : ١ - ٣ ) تجد بركات كثيرة ومختلفة وعده الله بها .. بعضها شخصي ، وبعضها على مستوى الأمة ، والبعض الآخر عالمي ، أو روحي . ولا شك أن الله قد عظم اسم إبراهيم فأصبح مكرماً ليس فقط من اليهود ، بل أيضاً من المسيحيين والمسلمين وكثيرين غيرهم . وقد كثر الله نسل إبراهيم جداً ، وبارك أولئك الذين باركوه ، وأنزل الدينونة قديماً على كل الذين لعنوا نسله .. لكن أعظم بركة أرسلها الله من خلال إبراهيم ونسله هي بركة خلاصنا الأبدي الذي لنا في الرب يسوع المسيح .. « نسل » إبراهيم الذي تتبارك فيه كل الأُم ( غل ٣ : ١٦ ) .

(٣) الخلاص بالإيمان لا بالناموس (ع ١٠ - ١٢) : لا يمكن أن يأتي الخلاص بطاعة الناموس ؛ لأن الناموس يجلب اللعنة ، لا البركة ، وهنا نجد الرسول بولس يقتبس من ( تث ٢٧ : ٢٦ ) . إن الناموس يستلزم الطاعة في كل شيء ، فالناموس ليس « كافيتريا دينية » يلتقط منها الناس ما يعجبهم فقط ( يع ٢ : ١٠ و ١١ ) . ثم يورد الرسول اقتباساً ثانياً من حبقوق : « البار بإيمانه يحيا » ( حب ٢ : ٤ ) . وهذه الحقيقة في منتهى الأهمية ؛ حتى إن الروح القدس أوحى بثلاثة أسفار من العهد الجديد يشرح معناها كما سبق . ففي

الرسالة إلى رومية يشرح كلمة « البار » ، ويخبرنا كيف يتبرر الخاطئ أمام الله ( رو ١ : ١٧ ) . وفي الرسالة إلى غلاطية يشرح كيف « يحيا » البار . أما في الرسالة إلى العبرانيين فيخبرنا أنه يحيا « بالإيمان » ( عب ١٠ : ٣٨ ) . لم يقدر أحد أن يحيا بالناموس « لأن الحرف ( الناموس ) يقتل » ، وأيضاً لأن الناموس يُظهر الخاطئ مذنباً أمام الله ( رو ٣ : ٢٠ ؛ ٧ : ٧ - ١١ ) .

لكن قد يوجد مَنْ يقول : إن الإيمان مطلوب حتى في طاعة الناموس ؛ لذلك اقتبس الرسول من سفر اللاويين ما يثبت أن الله يطلب « عمل » الناموس لا الإيمان به ( لا ١٨ : ٥ ) . فإذا كان الناموس يقول « افعل فتحيا ! » فإن النعمة تقول : « آمن فتحيا ! » إن اختبار الرسول بولس نفسه ( في ٣ : ١ - ١٠ ) ، وكذلك تاريخ شعب إسرائيل قديماً ( رو ١٠ : ١ - ١٠ ) يثبتان أن بر الأعمال لا يمكن أن يخلص الخاطئ ولكن بر الإيمان فقط هو الذي يمكن أن يخلص .

لقد أراد المتهودون إغواء أهل غلاطية بديانة أعمال الناموس ، بينما أراد لهم الرسول بأن يتمتعوا بشركة المحبة والحياة بالإيمان في المسيح . فالشخص الذي يتخلّى عن الإيمان والنعمة مقابل الناموس والأعمال ، يفقد كل ما يمكن أن يختبره المؤمن في شركته اليومية مع الرب . إن الناموس لا يستطيع أن يبرر الخاطئ ( غل ٢ : ١٦ ) ، ولا أن يعطيه برّاً ( غل ٢ : ٢١ ) ، ولا يعطي هبة الروح القدس ( غل ٣ : ٢ ) ، ولا يضمن الميراث الروحي لأولاد الله ( غل ٣ : ١٨ ) .. كما أن الناموس لا يعطي حياة ( ٣ : ٢١ ) ، ولا حرية ( غل ٤ : ٨ - ١٠ ) .. إذاً فلماذا العودة إلى الناموس ؟

(٤) هذا الخلاص يأتي من خلال المسيح ( ع ١٣ و ١٤ ) : هذان العدان

يلخصان بصورة رائعة كل ما كان يريد الرسول أن يقوله في هذا الجزء . هل يضع الناموس الخطاة تحت لعنة ؟ إذاً المسيح افتدانا من اللعنة ! هل تريدون بركة إبراهيم ؟ إنها تأتي من خلال المسيح ! هل تريدون عطية الروح القدس وأنتم أمميون ؟ هذه العطية قُدمت للأمم في شخص المسيح ! إن كل ما تحتاجون إليه هو في المسيح ! فلا داعي مطلقاً للعودة إلى موسى .

يقتبس الرسول من سفر التثنية مرة أخرى : « لأن المعلق ملعون من الله » ( تث ٢١ : ٢٣ ) . كان اليهود لا يصلبون المجرمين بل يرمونهم حتى الموت .



لكن في حالات الانتهاك المخجل للناموس كان الجسد يعلق على خشبة ( أو شجرة ) ويعرض للكل حتى يروه . لقد كان الصلب أمتهاناً وإذلاً شديداً للمصلوب ؛ لأن الشعب اليهودي كان حريصاً جداً في تعامله مع الجسد الميت . لذلك بعد أن كان الجسد يترك معلقاً أمام الناس لوقت ما ، كانوا ينزلونه ويدفنونه ( انظر يش ٨ : ٢٩ ؛ ١٠ : ٢٦ ؛ ١ : بط ٢ : ٢٤ ) .

لا شك أن الرسول بولس كان يقصد بـ « الخشبة » ( الشجرة ) ذلك الصليب الذي مات عليه المسيح ( أع ٥ : ٣٠ ؛ ١ : بط ٢ : ٢٤ ) . فالرب يسوع لم يُرجم ثم تم عرض جسده الميت ، بل سُمِر حياً على خشبة وترك هناك حتى مات . وبموته هذا على الصليب حمل عنا لعنة الناموس ؛ حتى لا يقع المؤمن تحت الناموس ولعنته فيما بعد .

إن كلمة « افتدانا » في ( غل ٣ : ١٣ ) تعني شراء العبد من أجل إطلاقه حراً . فمن الممكن شراء عبد وتركه ل يبقى عبداً كما كان ، لكن المسيح لم يفعل ذلك ؛ إذ سفك دمه على الصليب واشترانا لكي نحررنا . أما جماعة المتهودين فقد أرادوا الرجوع بالمؤمنين الذي مات المسيح ليحررهم إلى العبودية ، وكأن الخلاص هو تبديل العبودية من شكل إلى آخر ، وليس الانتقال من عبودية الخطية والناموس إلى حرية نعمة الله بالمسيح .

هذا يثير سؤالاً هاماً ، وهو : كيف يتسنى لجماعة المتهودين أن يقنعوا مؤمني غلاطية بأن طريق الناموس كان أفضل من طريق النعمة ؟ ولماذا يُفضل أي مؤمن أن يختار عمداً العبودية بدلاً من الحرية ؟ ربما نجد الإجابة جزئياً في كلمة « رقاكم » أي ( سحركم ) التي ذكرها الرسول في ( غل ٣ : ١ ) ، والكلمة تعني « أن تفتن أو تسلب القدرة » . لكن ما الجذاب أو القوي في الناموسية الذي يمكن أن يفتن المؤمنين هكذا للدرجة التي يتحولون فيها من النعمة إلى الناموس ؟

من جانب آخر نجد أن الناموسية تتفق مع الجسد ؛ فالإنسان بطبيعته يرغب في « التدين » - أي أن يطيع الناموس ، ويحفظ المناسبات المقدسة ، ويصوم ( انظر غل ٤ : ١٠ ) . وبلاشك لا يوجد أي خطأ في الطاعة أو الصوم أو حفظ الأوقات المقدسة في العبادة الروحية ، ولكن بشرط أن يكون الروح القدس هو الدافع إليها ومصدر القوة لها . هذا لأن الجسد يحب أن يفتخر بإنجازاته الدينية .. فكم من الصلوات رفعها ، أو كم من العطايا قدمها ( انظر لو ١٨ : ٩ - ١٤ ؛

في ٣ : ١ - ١٠ ) . أيضاً فإن الناموسية تتوافق مع الحواس مما يجعل الناس يعجبون بها . فبدلاً من عبادة الله « بالروح والحق » ( يو ٤ : ٢٤ ) يخترع الناموسي نظامه الخاص الذي يُرضي مشاعره وحواسه . إنه لا يستطيع السلوك بالإيمان بل بالعيان والسمع والتذوق والشم والإحساس . في الواقع أن العبادة التي بقيادة الروح لا تنكر دور الحواس الخمس ، فنحن نرى المؤمنين الآخرين ، ونرنم ، ونسمع الترانيم ، ونتذوق ونحس بعنصري تناول المائدة المقدسة . ولكن كل هذه الأمور الخارجية ما هي إلا منافذ يتقبل الإنسان بواسطتها كل ما هو أبدي ، فليست هي الغاية في حد ذاتها .

إن الإنسان الذي يعتمد على التدين إنما يقيس نفسه ويقارنها بالآخرين ، وهذا أيضاً من مفاتن الناموسية وجاذبيتها . أما المؤمن الحقيقي فهو الذي يقارن نفسه بالمسيح وليس بالمسيحيين ( أف ٤ : ١١ ) ؛ فلا مجال للكبرياء في سلوك المؤمن الروحي الذي يعيش بالنعمة . أما الناموسي فإنه يفتخر بإنجازاته وبالتابعين له ( غل ٦ : ١٣ و ١٤ ) .

نعم هناك جاذبية في الناموس ، لكن هذه الجاذبية هي الطُعم الذي يقود إلى المصيدة . فما أن يبتلع المؤمن ذلك الطُعم يجد نفسه في عبودية . فما أفضل أن نتق في الله وكلمته ، وما أعظم أن نتكل على نعمته . فإن كنا قد خلصنا بالنعمة بواسطة الإيمان ، فلا بد أن نعيش بالنعمة أيضاً بواسطة الإيمان . هذا هو الطريق إلى البركة ، وما عدا ذلك يقود إلى نير العبودية .



## منطق الناموس

غلاطية ٣ : ١٥ - ٢٩

ظن المتهودون أنهم قد وضعوا الرسول بولس في مأزق . فكان قد انتهى لتوه - باستخدام العهد القديم - من إثبات أن خطة الله للخلاص لم تترك مكاناً لأعمال الناموس . لكن حقيقة اقتباس الرسول ست مرات من العهد القديم أثارت مشكلة خطيرة ، وهي إن كان الخلاص لا يتضمن الناموس فلماذا أُعطي الناموس من البداية ؟ وقد اقتبس الرسول من الناموس لكي يثبت عدم أهمية الناموس ! فإذا كان الناموس غير معمول به في ذلك الوقت فإن براهينه سوف تصبح بلا قيمة لأنها أُخذت من الناموس .

إن إيماننا هو إيمان منطقي ويمكن الدفاع عنه على أسس معقولة . وبينما هناك أسرار إلهية في الإيمان لا يستطيع أحد أن يفسرها تماماً ، فإن هناك أيضاً مبررات إلهية يستطيع أي فرد أن يفهمها طالما كان مؤمناً حقيقياً بالمسيح . لقد تربى بولس كمعلم يهودي ، وأصبح مدرّباً ومؤهلاً للدفاع عن قضيته ، ولذلك أورد أربع صياغات تساعدنا على فهم العلاقة بين الوعد والناموس .

### أولاً : الناموس لا يستطيع أن يغير الوعد

( غل ٣ : ١٥ - ١٨ )

لقد تكرر استعمال كلمة « وعد » ثماني مرات في هذه الأعداد إشارة إلى وعد الله لإبراهيم : أن فيه تتبارك جميع قبائل الأرض ( تك ١٢ : ١ - ٣ ) . وتضمن الوعد التبرير بالإيمان ، والحصول على بركات الخلاص كلها ( غل ٣ : ٦ - ٩ ) . وواضح أن الوعد لإبراهيم ( وأيضاً لنا من خلال المسيح ) قد أُعطي

حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، ويسبق ناموس موسى بعدة قرون ( الذي أُعطي حوالي عام ١٤٥٠ قبل الميلاد ) . وتضمن كلام المتهودين أن إعطاء الناموس قد غير العهد الأصلي لذلك الوعد ، وهذا ما برهن الرسول على أنه لم يحدث .

في بداية الأمر معروف أنه إذا توصل طرفان إلى اتفاق ما ، فلا يمكن أن يأتي طرف ثالث بعد سنوات ويغير الاتفاق : فالوحيدون الذين لهم حق التغيير هم فقط الذين صنعوه ، وأية إضافة أو حذف في هذا الاتفاق يعتبر غير قانوني .

فإذا صح ذلك بين الناس الخطاة فكم بالحري ينطبق على الله القدوس ؟ ولنلاحظ أن إبراهيم لم يصنع عهداً مع الله ، بل العكس فإن الله قطع عهداً لإبراهيم ! ولم يضع الله أية شروط ليوفيهها إبراهيم في ذلك العهد . فالواقع أنه عندما أقر الله العهد كان إبراهيم تحت سبات - أي نائماً ( انظر تك ١٥ ) ! لقد كان عهد نعمة لأن الله وعد إبراهيم ، ولم يقدم إبراهيم لله أية وعود في المقابل . ثم يعلن الرسول حقيقة أخرى رائعة وهي أن الله صنع ذلك الوعد ليس لإبراهيم فقط بل أيضاً للمسيح ، « في نسلك » الذي هو « المسيح » ( غل ٣ : ١٦ ) .

إن مفهومنا الكتابي لكلمة « نسل » تعود بنا إلى ( تك ٣ : ١٥ ) ، بعد سقوط الإنسان . لقد أعلن الله أن صراعاً سوف ينشب في العالم بين نسل إبليس ( أولاد إبليس - انظر يوحنا ٨ : ٣٣ - ٤٤ ) ، وبين نسل المرأة ( أولاد الله ، وفي النهاية ابن الله نفسه ) . يمكن أن يظهر ذلك في كل الكتاب المقدس : قايين ضد هابيل ( ١ يو ٣ : ١٠ - ١٢ ) ، إسرائيل ضد الأمم ، يوحنا المعمدان والرب يسوع في مواجهة مع الفريسيين ( مت ٣ : ٧ - ٩ ؛ ٢٣ : ٢٩ - ٣٣ ) ، المؤمن ضد غير المؤمن ( راجع مثل الزوان في الحقل الجيد : مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠ و ٣٦ - ٤٣ ) . لقد ظل هدف إبليس في العهد القديم هو عدم ميلاد ذلك « النسل » - أي المسيح - في العالم ؛ لأنه يعلم أن المسيح سوف يسحق رأسه يوماً ما .

في التحليل الختامي ، نجد أن الله حقق عهده بالوعد لإبراهيم من خلال المسيح ، ولذلك فإن الطرفين اللذين يستطيعان أن يقوما بأي تغيير في هذا العهد هما الله الآب والله الابن . فموسى لا يستطيع أن يغير العهد ! ولا يقدر أن يضيف إليه أو يحذف منه شيئاً . أما المتهودون فقد أرادوا أن يضيفوا إلى نعمة الله ( لقد ظنوا أنه يمكن إضافة أي شيء للنعمة ! ) ، وأن يحذفوا من مواعيد الله . وهذا ما ليس لهم الحق فيه حيث أنهم لم يكونوا طرفاً في العهد الأصلي .

أما الـ ٤٣٠ سنة المذكورة في ( غل ٣ : ١٧ ) فقد حيرت كثيرين من دارسي الكتاب المقدس . فالمدة من دعوة إبراهيم ( تك ١٢ ) إلى وصول يعقوب لمصر ( تك ٤٦ ) هي ٢١٥ سنة ويمكن حسابها كما يلي : كان إبراهيم في الخامسة والسبعين من عمره عندما دعاه الله وبلغ المائة عندما ولد إسحق ( تك ١٢ : ٤ : ٢١ ) هذا يعطينا ٢٥ سنة . ثم كان عمر إسحق ٦٠ عاماً عندما ولد يعقوب ( تك ٢٥ : ٢٦ ) وكان يعقوب في عمر ١٣٠ سنة عندما وصل إلى مصر ( تك ٤٧ : ٩ ) وهكذا فإن  $٢٥ + ٦٠ + ١٣٠ = ٢١٥$  سنة . ولكن موسى النبي يذكر أن إسرائيل تغربوا لمدة ٤٣٠ سنة في مصر ( خر ١٢ : ٤٠ ) . وهكذا يكون مجموع السنين منذ دعوة إبراهيم إلى إعطاء الناموس هو ٦٤٥ سنة وليس ٤٣٠ سنة . ثم أن مدة بقاء الشعب في مصر قد سجلها الوحي في ( تكوين ١٥ : ١٣ : أع ٧ : ٦ ) واستخدم هنا الرقم التقريبي الصحيح - أي بلا كسور - وهو ٤٠٠ سنة .

هناك حلول كثيرة لحل هذه المعضلة ، لكن ربما أهمها هو أن الرسول بولس كان يحسب الوقت منذ ذهاب يعقوب إلى مصر حين ظهر الرب له وأعاد تأكيد الوعد ( تك ٤٦ : ١ - ٤ ) . وهكذا تكون مدة ٤٣٠ سنة هي الفترة بين تأكيد الرب لوعده إلى يعقوب وحتى إعطاء الناموس في سيناء .

وبصرف النظر عن ماذا يكون الحل لمسألة التاريخ الذي تختاره ، فإن الحجة الأساسية واضحة ، وهي أن الناموس الذي أعطي بعد الوعد بعدة قرون ، لا يمكن أن يغير الوعد الذي عُقد مع أطراف آخرين . ولكن بفرض أن الإعلان الأخير - مثل ناموس موسى - كان أعظم وأمجّد من السابق ، فماذا يكون الحل إذاً ؟ هنا يُقدم لنا الرسول برهاناً آخر .

## ثانياً : الناموس ليس أعظم من الوعد

( غل ٣ : ١٩ و ٢٠ )

كان إعطاء الناموس حدثاً عظيماً ( خر ١٩ ) ؛ فقد حدثت هناك رعود وبروق ، كما كان الشعب مرتعداً من الخوف ، حتى موسى نفسه قال : " أنا مرتعب ومرتعد ! " ( عب ١٢ : ١٨ - ٢١ ) . لقد كان حدثاً مثيراً بالمقارنة بما حدث وقت إعطاء الوعد لإبراهيم ( تك ١٥ ) . ولا شك أن المتهودين قد تأثروا

جداً بتلك المشاعر الخارجية . لكن الرسول يشير إلى أن الناموس لا يرقى إلى مستوى الوعد في أمرين :

(١) **كان الناموس مؤقتاً (ع ١١٩) :** « قد زيد .. إلى أن يأتي النسل » ، وواضح إذاً أن ناموساً مؤقتاً لا يمكن أن يكون أعظم من عهد دائم . وعندما نقرأ عهد الله مع إبراهيم لا نجد فيه أداة الشرط « إذا » بل كان كله من النعمة . أما بركات الناموس فكانت تعتمد كلها على إتمام شروط معينة . وفوق ذلك هناك محطة نهائية للناموس وهي « أن يأتي النسل ( المسيح ) » . وهكذا بموت المسيح وقيامته يكون الناموس قد تم ، ومن ثم فإن بره يكون قد تحقق فينا من خلال الروح ( رو ٧ : ٤ ؛ ٨ : ١ - ٤ ) .

(٢) **لقد تطلب الناموس وسيطاً (ع ١٩ و ٢٠) :** عندما أعطى الله الناموس لإسرائيل فعل ذلك بواسطة ملائكة ومن خلال وسيط هو موسى . فقد قيل عن إسرائيل « أخذتم الناموس بترتيب ملائكة » ( أع ٧ : ٥٣ ) .. أي أن الشعب استلم الناموس كطرف ثالث إذ أُعطي من الله إلى الملائكة ومنهم إلى موسى . أما الله فقد صنع العهد شخصياً مع إبراهيم بدون وجود وسيط ، وأعلن لإبراهيم كل ما سوف يفعله من أجله ومن أجل نسله . إن الوسيط هو الشخص الذي يقف بين طرفين من أجل المساهمة في اتفاقهما ، لكن لم تكن هناك حاجة لوسيط في حالة إبراهيم حيث أن الله هو الذي دخل في عهد معه ، وليس إبراهيم مع الله ، ولأن « الله واحد » ( غل ٣ : ٢٠ ) ، فلم يكن إذاً هناك حاجة لوسيط . لقد تأثر المتهودون بالمظاهر الخارجية التي صاحبت إعطاء الناموس .. مجد ، رعود ، بروق ، ملائكة ، وظواهر أخرى . إلا أن الرسول تطلع إلى ما وراء الظواهر المؤقتة ، إلى الجوهر . فأوضح أن الناموس كان مؤقتاً وتطلب وسيطاً ، أما عهد الوعد فكان دائماً ، ولم يتطلب وسيطاً . فالنتيجة الوحيدة هي أن العهد أعظم من الناموس .

## ثالثاً : الناموس لا يناقض الوعد ( غل ٣ : ٢١ - ٢٦ )

لعلنا نسمع صرخة المتهودين في السؤال الوارد في ( غل ٣ : ٢١ ) : « هل الناموس ضد مواعيد الله ؟ » هل يناقض الله نفسه ؟ أم هل لا تعرف يمينه ما

تفعله يساره ؟ بينما أجاب الرسول على هذا السؤال كشف عن نظرتة العميقة لطرق الله ومقاصده . فهو لم يقل أن الناموس يناقض الوعد ، بل بالحري يتعاون معه في تحقيق مقاصد الله . فبينما يبدو أن هناك تناقضاً بين الناموس والنعمة ، إلا أن النظرة العميقة تكشف أنهما يكملان بعضهما بعضاً . إذاً لماذا أُعطي الناموس ؟

(١) **الناموس لم يأت ليعطي حياة (ع ٢١) :** لا شك أن الناموس نظم حياة الشعب اليهودي لكنه لم يمدّم بالحياة الروحية ، ولم يكن بمقدوره أن يفعل ذلك ( غل ٣ : ٢١ تتشابه مع ٢ : ٢١ ) . فإذا أمكن للحياة والبر أن يتحققا بواسطة الناموس لما مات الرب يسوع المسيح على الصليب . لكن الرب يسوع مات ؛ لذلك لا يستطيع الناموس أبداً أن يعطي الخاطئ حياة وبراً . إلا أن « عبادة الناموس » هي التي قادت إسرائيل إلى ديانة أعمال البر الذاتي ، مما أدى بهم إلى رفض المسيح ( رو ٩ : ٣٠ - ١٠ : ١٣ ) .

(٢) **لقد أُعطي الناموس ليكشف الخطية (ع ١٩ و ٢٢) :** نرى هنا الطريقة التي تعاون بها الناموس مع النعمة من أجل إحضار الخطاة إلى يسوع المسيح . فالناموس يُظهر للخاطئ ذنبه ، والنعمة تظهر الغفران الذي له في المسيح . « الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » ( رو ٧ : ١٢ ) . أما نحن فإننا نجسّون وظالمون وفاسدون . فالناموس لا يُصيرنا خطاة ، لكنه يعلن أننا خطاة بالفعل ( رو ٣ : ٢٠ ) ؛ فهو بمثابة المرآة التي تساعدنا لكي نرى « وجه خلقتنا » الرديء ( يع ١ : ٢٢ - ٢٥ ) ، ولكننا لا نغسل وجوهنا بالمرآة ! فالنعمة هي التي تطهرنا بدم يسوع المسيح ( انظر ١ يو ١ : ٧ ) .

هناك استعمال ناموسي للناموس ( ١ تي ١ : ٨ - ١١ ) ، وآخر غير ناموسي . فالاستعمال الناموسي هو من أجل إعلان الخطية ، لكي يرى الناس حاجتهم إلى مخلص . أما الاستعمال غير الناموسي فهو محاولة الوصول للخلاص بحفظ الناموس . فعندما يقول الشعب أنهم خلصوا بسبب حفظهم للوصايا العشر ، فكأنهم يعلنون جهلهم بالمعنى الحقيقي للناموس . إن الناموس قد « أغلق على الكل تحت الخطية » ( غل ٣ : ٢٢ ) بلا تفرقة بين يهود وأمم . وبما أن الكل تحت الخطية إذاً يمكن أن يخلص الكل بالنعمة ! قاله ليس لديه طريقان للخلاص لكن طريقاً واحداً فقط للخلاص وهو الإيمان بيسوع المسيح .



(٣) لقد أعطى الناموس ليعد الطريق للمسيح (ع ٢٣ - ٢٦) : يستخدم الرسول هنا مثلاً كان مألوفاً للقراء ، وهو الابن الذي كان تحت الوصاية . فقد كانت منازل الرومان واليونان بها عبيد متعلمون جيداً ، وكانت مهمتهم اصطحاب الأطفال من وإلى المدرسة وحراستهم طوال اليوم . وأحياناً كانوا يقومون بتأديبهم ، وهذا ما قصده الرسول بكلمة « مؤدّب » ( غل ٣ : ٢٤ ) . وكلمة مؤدّب في الأصل اليوناني Pedagogue تعني حرفياً " المرشد للطفل " .

بهذا المثال قصد الرسول أن يقول أشياء كثيرة عن اليهود وناموسهم ، منها أن اليهود لم يولدوا بواسطة الناموس بل تربوا عليه . فالعبد ليس هو والد الطفل ، بل حارسه أو معلمه . لذلك فإن الناموس لم يعط حياة لإسرائيل بل نظم الحياة فقط . كان المتهودون يعلمون بأن الناموس ضروري لنوال الحياة والبر ، لكن حجة الرسول بولس أوضحت مدى خطأهم .

الأمر الثاني الذي تحدث به الرسول في منتهى الأهمية ؛ إذ أعلن أن عمل الحارس هو إعداد الطفل حتى النضوج . فما أن يصل الطفل إلى سن الرشد فإنه لا يحتاج بعد إلى وصي أو مؤدّب ، وهكذا كان الناموس إعداداً لشعب إسرائيل إلى أن يأتي النسل الموعود به يسوع المسيح ؛ فالهدف النهائي في خطة الله كان هو مجيئه ( غل ٣ : ٢٢ ) . لكن « قبلما جاء الإيمان [ المسيح ] » كانت الأمة « مسجونة بالناموس » - ( غل ٣ : ٢٣ ) ( ترجمة حرفية ) .

لقد فصل الناموس إسرائيل عن بقية الأمم ( أف ٢ : ١٢ - ١٨ ) ؛ إذ كان الناموس يسود على كل جوانب حياتهم . وخلال التاريخ اليهودي عبر القرون ، كان الناموس يُعدهم لمجيء المسيح . كما كانت كل وصايا الناموس تذكرهم بحاجتهم إلى مخلص . أخيراً فإن كل الرموز والإشارات التي وردت في الناموس كانت صوراً للمسيح الآتي ( انظر لو ٢٤ : ٢٧ ) .

هناك مثال جيد يوضح غرض الناموس نجده في قصة الشاب الغني ( مت ١٩ : ١٦ ) . فقد كان لهذا الشاب كل ما يتمناه أي شاب إلا أنه لم يكن سعيداً ! وقد حرص على حفظ الوصايا كل أيام حياته لكنه كان يفتقد شيئاً ما ، لكن هذه الوصايا أتت به إلى المسيح ! هذه واحدة من أهداف الناموس أن تنشئ في الخاطئ الهالك إحساساً بالذنب والاحتياج . والمؤسف في ذلك الشاب هو أنه لم يكن أميناً عندما نظر إلى مرآة الناموس ؛ حيث أن الوصية الأخيرة تقول « لا تشته » لكنها غابت عن ذاكرته ؛ لذلك مضى بدون الحياة الأبدية .

إن الناموس قد تم غرضه إذ أتى المخلص ، فلم تعد هناك حاجة بعد إلى « مؤدب » . ومما يؤسف له أن شعب إسرائيل لم يعترف بالمسيح عندما جاء ، وأخيراً دمر الله الهيكل ، وشئت الأمة حتى أصبح مستحيلاً اليوم على أي يهودي ملتزم بدينه أن يمارس إيمان ومعتقدات آبائه ، فلا يوجد مذبج ، ولا كاهن ، ولا ذبيحة ، ولا ملك ( هو ٣ : ٤ ) . لقد تحقق كل ذلك في شخص المسيح ، حتى أن أي إنسان - يهودي كان أم أممياً - يؤمن بالمسيح يصبح ابناً لله .  
فالنابوس لا يستطيع أن يغير الوعد ولا هو أعظم منه . لكنه غير متعارض مع الوعد لأنهما يعملان معاً من أجل الإتيان بالخطاة إلى المخلص .

### رابعاً : الناموس لا يستطيع أن يعمل ما يعمل الوعد ( غل ٣ : ٢٧ - ٢٩ )

بمجيء المسيح انتقل شعب إسرائيل من الطفولة إلى البلوغ ، وهكذا انتهت فترة الإعداد الطويلة . وبينما كان هناك بعض من المجد للناموس ، إلا أن المجد الأعظم كان في الخلاص الإلهي العظيم الذي وُجد في المسيح . فالناموس استطاع أن يكشف الخطية إلى حد معين ، ويضبط السلوك ، ولكن لم يقدر أن يفعل للخاطئ ما استطاع المسيح أن يفعله له .

فمن حيث المبدأ لم يبرر الناموس الخاطئ المذنب كما قال الرب : « لأنني لا أبرر المذنب » ( خر ٢٣ : ٧ ) . بينما يقول الرسول بولس إن الله « يبرر الفاجر » ( رو ٤ : ٥ ) . إن الملك سليمان وقت تدشين الهيكل ذكر الله بأنه يدين الشرير ويبرر البار ( ١ مل ٨ : ٣٢ ) ، وقد كان هذا مطلباً مناسباً في ضوء قداسة الله . أما المشكلة فهي أنه لا يوجد بار واحد ! فبالإيمان بيسوع المسيح فقط يتبرر الخاطئ ويصبح باراً أمام الله .

وعلاوة على ذلك ، فلم يقدر الناموس أن يوحد الإنسان بالله ، بل فصله . فقد كانت الخيمة محاطة بسور ، وكان الحجاب فاصلاً بين القدس وقدس الأقداس . أما الإيمان بيسوع فإنه يعمدنا « بالمسيح » ( غل ٣ : ٢٧ ) ، ومعمودية الروح هذه هي التي توحد المؤمن بالمسيح وتجعله ضمن جسده ( ١ كو ١٢ : ١٢ - ١٤ ) . ومعمودية الماء هي الصورة الخارجية لعمل الروح داخلياً في المعمد ( انظر أع ١٠ : ٤٤ - ٤٨ ) .

ويشير التعبير « لبستم المسيح » ( غل ٣ : ٢٧ ) إلى تغيير الملابس . فالمؤمن يُلقى جانباً بثياب الخطية القذرة ( إش ٦٤ : ٦ ) ، ويقبل بالإيمان ثوب البر في المسيح ( انظر كو ٣ : ٨ - ١٥ ) . إلا أن فكرة « تغيير الملابس » كان لها معنى إضافياً بالنسبة للغلاطيين . فقد كان الطفل الروماني عندما يبلغ سن الرشد يخلع ثياب الطفولة ، ويلبس « التوجا » وهي الثياب الفضفاضة للمواطن الروماني . أما المؤمن بالمسيح فإنه لم يعد فقط طفلاً في عائلة الله بل ابناً له ( غل ٣ : ٢٦ ) . إن كلمة « أبناء » تعني أبناء بالغين سن الرشد ، فلماذا العودة إذًا إلى طفولة الناموس ؟

وما أعظم هذا القول : « لأنكم جميعاً واحد في المسيح » ( غل ٣ : ٢٨ ) ! فإن الناموس قد صنع فروقاً وتمييزاً ليس فقط بين الأفراد والأمم بل أيضاً بين الأنواع المختلفة للأطعمة والحيوانات . أما الرب يسوع المسيح فقد أتى لا ليفرق بل ليوحد .

ولابد أن هذه الأخبار كانت سارة لمؤمني غلاطية ؛ لأن العبيد في مجتمعهم كانوا محتقرين ، والمرأة كانت حبيسة المنزل ، ويُنظر إليها بازدراء ، والأمم كانوا موضع سخرية اليهود باستمرار .

فالفريسي كان يصلي كل صباح قائلاً : " أشكرك يارب لأنني يهودي ولست أممياً ، ولأنني رجل لا امرأة ، ولأنني حر ولست عبداً ! " لكن « في المسيح » زالت كل هذه الفروق .

لكن هذا لا يعني أن الإيمان يُغير من نوع جنسنا أو من حالتنا السياسية أو الوطنية ، لكن يعني أن مثل هذه الفوارق تصبح بلا قيمة عندما تتعلق بعلاقتنا الروحية مع الله الآب في المسيح . إن الناموس يؤكد تلك الفوارق ، لكن الله في نعمته أعلن أن كل البشر على قدم المساواة ، لذلك أعلن رحمته للجميع ( رو ١١ : ٢٥ - ٣٢ ) .

أخيراً ، فإن الناموس لم يجعل منا ورثة لله ( غل ٣ : ٢٩ ) . فوعد الله كان « لنسل إبراهيم » ( غل ٣ : ١٦ ) ، وحيث جاءت كلمة « نسل » هنا بصيغة المفرد ، إذًا فهذا النسل هو المسيح . فإذا كنا « في المسيح » بالإيمان فنحن إذًا « نسل إبراهيم » الروحي . وهذا يعني أننا ورثة لبركات الله الروحية التي وعد بها إبراهيم . هذا لا يعني أن البركات الأرضية لنسل إبراهيم قد أُلغيت ، لكن

المؤمنين في عهد النعمة قد نالوا الغنى الروحي بسبب ذلك الوعد ( رو ١١ : ١٣ ) .

إن هذا الجزء من الرسالة له قيمة بالنسبة لنا ؛ فهو يظهر أن الدروس الروحية في العهد القديم ليست لليهود فقط ، ولكن لها تطبيقاتها على المسيحيين اليوم ( انظر رو ١٥ : ٤ ؛ ١ : ١٠ كو ١٠ : ١١ و ١٢ ) . ففي العهد القديم نجد الإعداد لمجيء المسيح ، وفي الأناجيل نجد مجيء المسيح وتقديمه للعالم ، ومن سفر الأعمال حتى الرؤيا نجد تخصيص المسيح للمؤمنين به .

إن حياتك كمؤمن يجب أن تكون فعالة وذات مغزى بحسب إدراكك لكل ما لك في شخص المسيح ، وكل هذا بالنعمة وليس بالناموس ! لقد أصبحت ابناً بالغاً في عائلة الله ووارثاً مع المسيح .. فهل تعيش على حساب هذا الميراث الآن ؟ هذا هو الموضوع الذي يتناوله الرسول بالشرح في الجزء التالي .



## إنه الوقت للنمو !

غلاطية ٤ : ١ - ١٨

مما يؤسف له أن الناموسية تُعطي مظهر النضوج الروحي ، بينما هي في الحقيقة تعود بالمؤمن إلى « طفولة ثانية » في حياة الاختبار المسيحي . ولا شك أن مؤمني غلاطية أرادوا النمو والتقدم من أجل المسيح - مثل معظم المؤمنين الآخرين - إلا أنهم أخطأوا السبيل . وربما اختبارهم لا يختلف كثيراً عما للمؤمنين اليوم الذين ينهمكون في أعمال ناموسية على أمل أن يصيروا أفضل ، وربما تكون دوافعهم صادقة لكن الطريقة خاطئة .

هذه هي الحقيقة التي أراد الرسول بولس توصيلها إلى المؤمنين في غلاطية . لقد « رقاها » ( أو سحرهم ) المتهودون بأن جعلوهم يظنون أنه بالناموس سوف يصيرون مسيحيين أفضل . وقد شعروا بطبيعتهم القديمة بانجذاب نحو الناموس : لأن الناموس مكّنهم من عمل بعض الأشياء ، وقياس النتائج الظاهرية . وإذا قاسوا أنفسهم بحسب إنجازاتهم أحسّوا بالرضا عن أنفسهم وقطعاً شعروا بشيء من الكبرياء ، وبالتالي اعتقدوا أنهم تقدموا إلى الأمام بينما الواقع أنهم كانوا يتراجعون .

إن هؤلاء يصبحون في موقف مشابه للمسافرين في طائرة ، وقد سمعوا قائد الطائرة يعلن : " أيها السادة .. إن ملاح الطائرة لا يستطيع أن يميز موقعنا ، ونحن نظير بلا هدف لمدة تزيد عن الساعة الآن ، وتلك هي الأخبار السيئة . أما الأخبار السارة فهي أننا نقضي وقتاً ممتعاً ! "

وقد اتخذ الرسول ثلاثة مداخل من أجل إقناع الغلاطيين بأنهم لا يحتاجون إلى الأعمال الناموسية لكي يعيشوا الحياة المسيحية ، وأن لهم كل ما يحتاجونه في شخص الرب يسوع .

## أولاً : يشرح لهم أنهم متبنون ( غل ٤ : ١ - ٧ )

إن التبني هو أحد بركات الاختبار المسيحي ( غل ٤ : ٥ : أف ١ : ٥ ) ، نحن لا « ننضم » إلى عائلة الله بالتبني - كما يحدث في بعض المجتمعات - لكن ننتمي إليها « بالميلاد الثاني » ( يو ٣ : ٣ ) .

أما كلمة التبني في العهد الجديد فهي تعني « مكانة الابن البالغ » ، ويدور ذلك حول موقفنا في عائلة الله ، فنحن لم نعد أطفالاً صغاراً بل أبناء بالغين نتمتع بكل امتيازات البنوة .

وربما هناك بعض الترجمات التي لا تفرق بين « أولاد الله » - أي الأطفال - وبين « أبناء الله » - أي البالغين . فإننا « أولاد الله » بالإيمان في المسيح ، ومولودين في عائلة الله ، إلا أن كل مَنْ ولد من الله فإنه يدخل تلقائياً في العائلة كابن له كل الحقوق والامتيازات . وعندما يؤمن الخاطئ بالمسيح فبالنسبة إلى حالته يعتبر « طفلاً روحياً » يحتاج إلى النمو ( ١ بط ٢ : ٢ و ٣ ) . أما بالنسبة لوضعه ، فإنه ابن بالغ يستطيع أن يتمتع بثروة الأب ويمارس كل امتيازات الابن .

وإن كنا ندخل إلى عائلة الله بالولادة الثانية ، لكننا نتمتع بهذا الانتماء عن طريق التبني ، ولا ينتظر المؤمن حتى يبدأ التمتع بالغنى الروحي الذي له في المسيح ؛ لأنه إن كان « ابناً .. فهو وارث لله بالمسيح » ( غل ٤ : ٧ ) . وهنا يناقش الرسول موضوع التبني ويذكر القراء بثلاث حقائق .

### (١) ماذا كنا ؟ كنا أطفالاً مستعبدين ( ع ١ - ٣ ) : مهما كانت ثروة

الأب فإن الطفل الصغير لا يستطيع عملياً أن يتمتع بتلك الثروة . في أيام الرومان كان العبيد هم الذين يعتنون بأطفال الأثرياء . ومهما كان مركز الأب فالطفل يبقى طفلاً تحت إشراف العبيد . في الواقع لم يكن الطفل نفسه يختلف كثيراً عن العبد الذي كان يحرسه ؛ فالعبد كان تحت أمر سيده والطفل تحت أمر العبد .

وتلك كانت الحالة الروحية لليهود تحت عهد الناموس . فالناموس - كما ذكرنا قبلاً - كان « الوصي » الذي يؤدب الأمة ، ويعد الشعب لمجيئ المسيح ( غل ٣ : ٢٣ - ٢٥ ) . وهكذا ، عندما قاد المتهودون الغلاطيين إلى الناموسية ، لم يقودوهم فقط إلى العبودية ، لكن أيضاً إلى الطفولة الروحية وعدم البلوغ .

وهنا يُقرر الرسول بولس أن اليهود كانوا مثل الأطفال مستعبدين » تحت أركان العالم « ، وكلمة « أركان » تعني المبادئ الرئيسية ، أي ألف باء . وهكذا ظل شعب إسرائيل ما يقرب من خمسة عشر قرناً في مدرسة أولية يتعلمون فيها « ألف باء المبادئ الروحية » ، حتى يكونوا مستعدين لوقت مجيء المسيح . وعندئذ تكون لهم كامل الرؤية ؛ لأن يسوع المسيح هو « الألف والياء » ( رؤ ٢٢ : ١٣ ) ، وهو الإعلان الكامل عن الله للإنسان .. إنه كلمة الله الأخيرة ( عب ١ : ١ - ٣ ) .

إذاً لم تكن الناموسية خطوة نحو النضج ، لكنها كانت خطوة للخلف نحو الطفولة . فلم يكن الناموس إعلان الله النهائي ، لكنه كان إعداداً لذلك الإعلان في شخص المسيح . ومن الضروري جداً أن يعرف الفرد الحروف الأبجدية لأنها أساس فهمه للغة . أما إذا جلس في مكتبة عامة وراح يردد تلك الحروف فقط دون أن يستطيع قراءة بعضاً من الكتب التي حوله فهو لم يصل بعد إلى البلوغ أو النضج . وهكذا فإن اليهود تحت الناموس كانوا قاصرين مستعبدين لا أبناء يتمتعون بالحرية .

(٢) ما الذي فعله الله ؟ افتدانا ( ع ٤ و ٥ ) : إن تعبير « ملء الزمان » ( غل ٤ : ٤ ) يشير إلى ذلك الوقت الذي صار العالم فيه مستعداً لميلاد المخلص . ويخبرنا المؤرخون أن العالم الروماني كان في توقع عظيم وانتظار لقدوم محرر وبطل ، إبان وقت ميلاد الرب يسوع . فقد كانت الديانات القديمة تحتضر ، كما أمست الفلسفات القديمة فارغة وبلا قوة لتغيير حياة الأفراد ، كما بدأت ديانات جديدة غامضة تغزو الإمبراطورية . وهكذا صار الإفلاس الديني والجوع الروحي منتشراً في كل مكان . لقد كان الله يعد العالم لمجيء ابنه !

من الناحية التاريخية ساعدت الإمبراطورية الرومانية في إعداد العالم لميلاد المخلص ! فقد ربطت الطرق كل مدينة بالأخرى ، كما ربطت كل المدن في النهاية بالعاصمة روما . كما حمت القوانين الرومانية حقوق المواطنين ، وكانت مسئولية الجنود الرومان آنذاك هي حفظ الأمن والسلام . شكراً للانتصارات اليونانية والرومانية ، لأن اللغة اللاتينية واللغة اليونانية أصبحتا بسببها معروفتين في كل أنحاء الإمبراطورية . فلم يكن ميلاد المسيح في بيت لحم حادثاً عارضاً ، بل كان بحسب وعد ؛ لأن يسوع جاء في « ملء الزمان » . ولا شك أنه سوف يأتي أيضاً ثانية حينما يحين الوقت .



لقد اهتم الرسول هنا بإظهار طبيعة الرب يسوع المسيح الإلهية والإنسانية ( غل ٤ : ٤ ) ؛ فهو الله والإنسان . وهو كإله قد « خرج » من عند الآب ( يو ١٦ : ٢٨ ) ، لكن كإنسان فقد « وُلد من امرأة » . لقد قال الوعد أن الفادي سيأتي من « نسل المرأة » ( تك ٣ : ١٥ ) ، وفي يسوع تم هذا الوعد ( إش ٧ : ١٤ ، مت ١ : ١٨ - ٢٥ ) .

لقد أخبرنا الرسول مَنْ الذي أتى .. إنه ابن الله . كما قال لنا متى أتى ؟ وكيف ؟ والآن يشرح لماذا أتى ، فيقول : « ليفتدي الذين تحت الناموس » ( غل ٤ : ٥ ) . وكلمة « يفتدي » استخدمها الرسول من قبل في ( غل ٣ : ١٣ ) بمعنى « يحرر بعد دفع الثمن » . فقد كان ممكناً لأي شخص شراء أي عبد في أي مدينة تابعة لروما إما للإبقاء عليه لنفسه أو لإطلاقه حراً ( وقد كان يوجد في الإمبراطورية حوالي ٦٠ مليون عبد ) . لقد جاء الرب يسوع لكي يحررنا ، لذلك فالعودة إلى الناموس كانت تعني إبطال عمل المسيح على الصليب ، فهو لم يفدنا لكي نصير عبيداً بل لنصبح أبناء ! فاليهود كانوا قاصرين أي أطفالاً تحت الناموس ، أما المؤمن تحت النعمة فهو ابن لله ، وله مكانة البالغ في عائلة الله ، ولعل الجدول التالي يساعدنا على التفرقة بين القاصر والابن كما يلي :

| الابن          | القاصر ( الطفل ) |
|----------------|------------------|
| يُتبني         | يولد             |
| يتمتع بالعائلة | يدخل العائلة     |
| له حرية البالغ | تحت وصاية        |
| يرث الأب       | لا يرث           |

(٣) ما هو وضعنا الآن ؟ إننا أبناء وورثة ( ع ٦ و ٧ ) : لقد اشترك الثلاث الأقدس في اختبارنا الروحي : فالله الآب أرسل ابنه لكي يموت عنا ، والله الابن أرسل روحه لكي يعيش فينا . أما التباين هنا فليس بين القاصر والبالغ بل بين العبيد والأبناء . وقد أراد الغلاطيون - مثل الابن الضال - أن يقبلهم الآب كعبيد ، بينما كانوا هم في الواقع أبناء ( لو ١٥ : ١٨ و ١٩ ) ! ويمكن ملاحظة هذه الفروق بسهولة كما يلي :

(١) الابن له نفس طبيعة الأب ، بعكس العبد ليس له هذه الطبيعة : إننا عندما نؤمن بالمسيح يأتي الروح القدس ويعيش فينا ، ومن ثمَّ نصبح « شركاء الطبيعة

الإلهية » ( ٢ بط ١ : ٤ ) . الناموس لا يمكنه أن يعطي طبيعة الله لأي إنسان ، لكن كل ما استطاع أن يعمل هو أن يعلن له حاجته الماسة إلى طبيعة الله . لذلك إذا عاد الإنسان إلى الناموس فهو ينكر طبيعة الله التي داخله ، ويعطي الفرصة لطبيعته القديمة ( الجسد ) أن تعمل فيه .

(ب) الابن له أب ، بينما العبد له سيد : العبد لا يجزؤ أن يدعو « يا أبي » ، بينما الخاطئ الذي آمن بالمسيح ، فإن الروح القدس يسكن فيه ، والروح يقول له إنه ابن الله ( رو ٨ : ١٥ و ١٦ ) . من الطبيعي للطفل الحديث الولادة أن يصرخ ويبكي ، ولكن ليس من الطبيعي أن يتحدث إلى أبيه . فعندما يدخل الروح القدس القلب يصرخ فينا : « أبا الآب » ( غل ٤ : ٦ ) ، والمؤمن يتجاوب مع ذلك فيصرخ : « يا أبا الآب » ( رو ٨ : ١٥ ) وكلمة « أبا » أرامية ، ومعناها « بابا » ، وهذا يدل على قرب الابن من أبيه . الأمر الذي يفتقر إليه العبد .

(ج) طاعة الابن نابعة من المحبة ، أما طاعة العبد فمصدرها الخوف : إن عمل الروح في قلب المؤمن هو أن يُنشِط ويُزيد محبته لله . إن ثمر الروح هو محبة ( غل ٥ : ٢٢ ) ، و « محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس » ( رو ٥ : ٥ ) . لقد قال المتهودون للغلاطيين أنهم سوف يصبحون أفضل بخضوعهم للناموس ، لكن الناموس لا يستطيع أن يُنتج طاعة ؛ لأن المحبة فقط هي التي تستطيع أن تفعل ذلك : « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي » ( يو ١٤ : ١٥ ) .

(د) الابن غني .. أما العبد فقير : إننا أبناء وورثة ، وبما إننا لنا التبني أي صار لنا وضع الابن البالغ في العائلة فنستطيع إذاً أن نستخدم ميراثنا من ذلك الوقت . لقد أتاح الله لنا كل غنى نعمته ( أف ١ : ٧ : ٢ : ٧ ) ، وغنى مجده ( في ٤ : ١٩ ) ، وغنى لطفه ( رو ٢ : ٤ ) ، وغنى حكمته ( رو ١١ : ٣٣ وما بعدها ) . وهكذا فإن كل غنى الله نجده في شخص المسيح ( كو ١ : ١٩ : ٢ : ٣ ) .

(هـ) الابن له مستقبل .. أما العبد فبلا مستقبل : ربما يقدم السادة إحساناً إلى عبيدهم لكن ذلك غير مطلوب منهم . أما الأب فإنه يذخر ويعطي دائماً لابنه ( ٢ كو ١٢ : ١٤ ) .

نحن لم نحصل بعد على التبني النهائي ؛ لأننا ننتظر عودة المسيح وفداء أجسادنا ( رو ٨ : ٢٣ ) . وقد فسر بعض الدارسين ذلك التبني بممارسة

رومانية كانت تُجرى عندما يتبنى أحدهم ولدًا من خارج عائلته ليكون ابنًا له .  
فأول كل شيء كان يُجرى طقس خاص للابن المُشترى ، ثم يُجرى طقس عام يُعلن فيه التبني أمام رجال القانون صراحة .

لقد اختبر المؤمنون المرحلة الأولى للتبني حيث قد اشتَرانا المسيح وسكن فينا الروح القدس . لكننا ننتظر المرحلة الثانية ، وهي الإعلان العام عند مجيئ المسيح ، حيث نصير مثله ( ١ يو ٣ : ١ - ٣ ) . فنحن أبناء وورثة ، ولا يزال هناك الجزء الأكبر من ميراثنا الذي ننتظره بعد ( انظر ١ بط ١ : ١ - ٥ ) .

## ثانيًا : إنه يرثي لارتدادهم ( غل ٤ : ٨ - ١١ )

ماذا حدث للغلاطيين بالضبط عندما رجعوا من النعمة إلى الناموس ؟ بداية ..  
لقد تخلوا عن الحرية في سبيل العبودية . فعندما كانوا خطاة كانوا في جهل يخدمون ألهتهم الكاذبة ، واختبروا مأساة العبودية الوثنية . ولكنهم آمنوا بالمسيح ومن ثمَّ تحرروا من تلك الخرافات والعبودية لها . ولكنهم بدأوا آنذاك يتخلون عن حريتهم في المسيح ويعودون للعبودية . وكأنهم تركوا مدرسة النعمة ، وعادوا إلى روضة الناموس ! وهكذا كانوا يدمرون كل عمل الرب في حياتهم بواسطة خدمة الرسول بولس .

أما عبارة « الأركان الضعيفة والفقيرة » فتدل على مدى ارتدادهم . لقد استبدلوا قوة الإنجيل بضعف الناموس ، وغنى الإنجيل بفقر الناموس ! فالناموس لا يستطيع أبدًا أن يجعل الإنسان غنيًا أو قويًا ، لكنه على العكس يُعلن له ضعفه وإفلاسه الروحي . ولا عجب إن كان الرسول قد تأسف جدًا على هؤلاء المؤمنين عندما رأهم يتنازلون عن الحرية والقوة والغنى ، ويتمسكون بالعبودية والضعف والفقر !

ولكن كيف فعلوا ذلك ؟ بالتمسك بنظام العهد القديم بما فيه من أيام خاصة وشهور وأوقات معينة وسنين ( غل ٤ : ١٠ ) .

وهل يعني ذلك أنه من الخطأ أن يخصص المسيحيون يومًا في السنة يتذكرون فيه ميلاد المسيح ؟ أو ما الخطأ في الاحتفال بيوم الخمسين الذي حلَّ فيه الروح القدس ؟ هل مباركة الحصاد في الخريف خطية ؟

ليست هذه المناسبات بهذه الدرجة من الأهمية ، إذا كنا نحفظها مثل العبيد ،  
أماً في الحصول على ميزة روحية . أما إذا فعلنا ذلك لنُعبر عن حريتنا في المسيح  
وندع الروح القدس يفيض علينا بغنى نعمته فإن مثل هذه المناسبات تكون سبب  
بركة روحية لنا .

يوضح لنا العهد الجديد أن المؤمنين لا يجب أن يُشرعوا القوانين الدينية  
ليحفظها إخوتهم ( رو ١٤ : ٤ - ١٣ ) ، فلا يجب أن نمدح الإنسان الذي يهتم  
باليوم ، وندين الذي لا يهتم . أما إذا ظن الإنسان أنه يُخلص نفسه ، أو ينمو  
تلقائياً في النعمة بسبب حفظه لتلك المناسبات فإنه يكون مذنباً بالناموسية .

هناك الكثير من المناسبات الدينية التي تحتفل بها الكنائس ، فمن الخطأ أن  
نتخطى كلمة الله سواء في المقارنة أو النقد أو الإدانة . ولكن علينا جميعاً أن  
نحذر من روح الناموسية التي تغذي الجسد ، وتقود إلى الكبرياء ، والتي تجعل  
من الشكل الخارجي بديلاً للاختبار الداخلي .

### ثالثاً : إنه يُنشد محبتهم ( غل ٤ : ١٢ - ١٨ )

كان الرسول بولس أباً روحياً مثالياً ؛ فقد كان يعرف كيف يوازن بين التبويخ  
والمحبة . وقد تحول من « التبويخ بقسوة » إلى « الأحضان » ؛ فقد ذكّرهم  
بمحبتهم له ، ومحبتهم لهم . ففي لحظة ما كانوا مستعدين لأية تضحية ومن  
أجله ، فكان حبهم عظيماً جداً ، لكنه أصبح الآن عدواً لهم ! فقد أتى المتهودون  
إليهم وسرقوا عواطفهم .

وقد تمنى دارسو الكتاب لو أن حديث الرسول بولس كان أكثر تفصيلاً هنا ؛  
لأننا لا نعلم على وجه التحديد الأحداث التي تكلم عنها . فعندما زارهم الرسول  
في البداية كان يعاني من علة جسدية . وإذا كان الرسول - كما ذكرنا في ( غل  
١ ) - يكتب للكنائس جنوب غلاطية فهو إذاً كان يُشير إلى رحلته التبشيرية  
الأولى المسجلة في ( أع ١٣ و ١٤ ) . لكن من الواضح أن الرسول لم تكن في  
نيته زيارة تلك المدن ، لكنه اضطر لذلك بسبب بعض العجز الجسدي . ونحن لا  
يمكننا إلا التخمين ، مع أن البعض يظنون أن السبب كان إصابته بالمalaria ،  
والبعض الآخر ظنوا إنها إصابة في العينين ( انظر غل ٤ : ١٥ ) . وأياً كانت

تلك العلة إلا إنها جعلت مظهر الرسول مُنفر إلى حد ما ؛ مما جعله يمتدح الغلاطيين على الطريقة التي قبلوه بها ، على الرغم من تلك العلة .. فكان بالنسبة لهم كملاك الله . وما أجمَل أن يقبل الناس خدام الله ليس من أجل مظهرهم الخارجي ، بل لأنهم يمثلون الرب ، ويحملون رسالته .

وهنا يسألهم الرسول : " ماذا حدث لهذه المحبة ؟ وماذا حدث للبركة والسعادة التي اختبرتموها عندما سمعتم بالإنجيل ، وأمنتُم بالمسيح ؟ " بالطبع كان الرسول على علم بما حدث ، ألا وهو أن المتهودين قد وصلوا وسلبوا قلوبهم .

إن إحدى علامات المعلم الكاذب هو أنه يحاول أن يجذب المؤمنين إلى نفسه ، وليس إلى حق الكلمة أو إلى شخص يسوع المسيح . لم يكن المتهودون هم أول مَنْ وصلوا إليهم وقادوهم إلى المسيح ، بل الرسول بولس . ولعلمهم فعلوا ما يفعله البعض هذه الأيام ؛ إذ نجد المعلمين الكذبة لا يأتون بالخطاة الهالكين إلى المسيح بل يحاولون اجتذاب المؤمنين الذين يخدمون الله بحق في محبة . أما الرسول فقد أثبت أنه صديقهم المحب .. « لأنني أنا أيضاً كما أنتم » ( غل ٤ : ١٢ ) ، إلا أنهم تحولوا عنه وتبعوا رعاة كذبة .

لقد أخبرهم الرسول بولس بالحقيقة ، لكن المتهودين كذبوا عليهم . وبينما طلب الرسول مجد المسيح سعى المتهودون إلى تمجيد أنفسهم وتابعيهم . فالرسول يقول لهم : " إن هؤلاء الناس غيرون لكي يربحوكم ليس للحسن ، ولكنهم يريدونكم أن تتغربوا عنا لتغاروا عليهم " ( ترجمة أخرى لغلاطية ٤ : ١٧ ) .

إن الخادم الحقيقي لله لا « يستغل الناس » لكي يبني نفسه أو عمله ، ولكنه يخدم في محبة لكي يساعد الناس على معرفة المسيح أكثر وعلى تمجيد اسمه . فاحذر من خادم الدين الذي يطلب إخلاصك له على أساس أنه الوحيد الذي على حق ؛ لأنه سوف يستغلك لأطول مدة ممكنة ، ثم بعد ذلك يسقطك من حساباته من أجل شخص آخر ، وسيكون سقوطك مؤلماً للغاية . إن مهمة القائد الروحي أن يجعل الناس يحبون ويتبعون المسيح ، لا أن يُروج لنفسه ولخدمته .

« أمانة هي جروح المحب وغاشة هي قبيلات العدو » ( أم ٢٧ : ٦ ) . لقد برهن الرسول لأهل غلاطية على محبته لهم بأن أخبرهم بالحق ، أما هم فلم يقبلوا ذلك . لقد كانوا يستمتعون بقبيلات المتهودين غير مدركين أنها كانت تقودهم للعبودية والحزن . لقد جعلهم المسيح أبناء وورثة ، ولكنهم سرعان ما أمسوا عبيداً وفقراء .

إنهم لم يفقدوا اختبار خلاصهم - بل ظلوا مؤمنين - لكنهم كانوا يفقدون التمتع بخلاصهم بمحاولة العثور على الرضا والاكتفاء من خلال أعمالهم . وللأسف فإنهم لم يدركوا مقدار خسارتهم ؛ إذ اعتقدوا بأنهم سوف يصبحون مؤمنين أفضل باستبدال النعمة بالناموس ، وثمر الروح بالأعمال الدينية الجسدية .  
 تُرى هل تتقدم في حياة الإيمان نحو الحرية .. أم تتقهقر إلى العبودية ؟!  
 ليتك تفكر ملياً قبل الإجابة !



## تقابل مع أمك !

غلاطية ٤ : ١٩ - ٣١

قد يبدو أحياناً أن الآباء لا يريدون أن يكبر أولادهم الصغار ، ولعلي أتذكر أمي عندما كانت تقول : " الطفل الصغير يكون مثل الدُمية بين يديك ، وعندما يكبر يصبح ثقلاً على قلبك ! "

هذا ما اختبره الرسول عندما حاول مساعدة مؤمني غلاطية في حياتهم الروحية المشوشة . فعندما ذهب إليهم أولاً بالإنجيل كان « يتمخض » بهم روحياً حتى يرى رجوعهم إلى الرب . لكن الرب يسوع كان قد تمخض قبلاً على الصليب من أجل خلاصهم ( إش ٥٣ : ١١ ) ومخاض الرسول بولس لم يكن يقارن بما فعله الرب يسوع . لكن حيث أنهم قد عادوا إلى الناموس - أي إلى طفولة ثانية - اضطر الرسول أن يتمخض بهم ثانية لأنه اشتاق أن يُتصور المسيح فيهم ، تماماً كما نود نحن الآباء أن نرى أطفالنا ينضجون في مشيئة الله .

وبما أن المتهودين قد تمسكوا بالناموس ، فقد قَبِلَ الرسول ذلك التحدي مستخدماً الناموس لكي يبرهن أن المؤمنين ليسوا تحت الناموس . فاستشهد بالقصة المعروفة لإسماعيل وإسحق ( تك ١٦ - ٢١ ) ، واستنتج منها حقائق أساسية عن علاقة المسيحية بناموس موسى .

ومع أن الأحداث الموصوفة حدثت فعلاً ، لكن الرسول يستخدمها كرمز ، أي قصة تُشير إلى معنى أعمق خلفها . وربما من أشهر القصص الرمزية المسيحية هي قصة « السائح المسيحي » ، التي يتتبع فيها الكاتب « جون بنيان » الاختبار المسيحي من مدينة الهلاك إلى السماء . وفي أية قصة رمزية تصور الأشخاص والأحداث فيها معاني عميقة يمكن قراءتها على مستويين : المستوى الحرفي ، والمستوى الرمزي .



إن استخدام الرسول بولس لأحداث من سفر التكوين في هذا الجزء لا يعطينا ترخيصاً لاكتشاف « المعاني الخفية » في كل أحداث العهد القديم بالأسلوب الرمزي ؛ لأننا إذا استخدمنا هذا المدخل في تفسير نصوص الكتاب المقدس ، فهذا يعني أنه بإمكاننا أن نجعله منه أي شيء يرضينا ! لكن الروح القدس هو الذي أوحى إلى الرسول بولس لكي يكشف عن المعنى الخفي في قصة التكوين . ونحن يجب أن نفسر العهد القديم دائماً في ضوء العهد الجديد . وأينما يسمح لنا العهد الجديد يمكننا أن نبحث عن المعاني الخفية ، فيما عدا ذلك فإننا يجب أن نقبل أقوال الكتاب كما هي ، ولا نحاول « روحنة » كل الأشياء .

## أولاً : الحقائق التاريخية

( غل ٤ : ١٩ - ٢٣ )

ربما أسهل طريق لمعرفة هذا الحادث التاريخي هو تتبع اختبارات إبراهيم باختصار كما سُجّلت فيما بين ( تك ١٢ و ٢١ ) . وباستخدام عمر إبراهيم كدليل لنا سوف نتتبع الأحداث التي بنى عليها الرسول برهانه فيما يتعلق بالحرية المسيحية .

١٥ سنة - دعا الله إبراهيم للذهاب إلى كنعان ، ووعده بنسل كثير ( تك ١٢ : ١ - ٩ ) . إلا أن سارة كانت عاقراً ، وانتظر الرب حتى يصل كلاهما إلى حالة « الموت » ( رو ٤ : ١٦ - ٢٥ ) قبل أن يُجري معجزة إعطائهما ابناً .

٢٥ سنة - لم يكن ابن الموعد قد وصل بعد ، وإذ لم تستطع سارة أن تصبر اقترحت أن يتزوج إبراهيم هاجر جاريتها ويرزق منها بابن ! وكان ذلك حقاً شرعياً في ذلك الوقت ، إلا أنه لم يكن بحسب مشيئة الله . لكن إبراهيم سمع نصيحة سارة وتزوج هاجر ( تك ١٦ : ١ - ٣ ) .

٢٦ سنة - حبلت هاجر ، وشعرت سارة بالغيرة ! وساءت الأمور في البيت بينهما فطردت سارة هاجر . لكن الله تدخل وأرجع هاجر ، وواعد بأن يهتم بها وبابنها . وولّد إسماعيل عندما كان عمر أبيه ٢٦ عاماً ( تك ١٦ : ٤ - ١٦ ) .

٩٩ سنة - تكلم الله ثانية إلى إبراهيم ووعده بأنه سيكون له ابن من سارة ، وسوف يدعوا اسمه إسحق . وبعد ذلك ظهر الله ثانية وأكد الوعد لسارة ( تك ١٧ - ١٨ ) .

١٠٠ سنة - وَلِدَ الابن ( تك ٢١ : ١ - ٧ ) ، ودعي اسمه إسحق ( الضحك ) . إلا أن ولادته سببت مشكلة في البيت ، إذ أصبح منافساً لإسماعيل بعد أن كان الأخير هو ابن أبيه الوحيد القريب إلى قلبه جداً لمدة ١٤ سنة . لكن كيف تصرف إسماعيل في وجود ذلك المنافس ؟

١٠٣ سنة - كانت عادة اليهود أن يفظموا أطفالهم عند حوالي سن الثالثة من العمر ، وكانوا يقيمون احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة . لكن إسماعيل بدأ يسخر من إسحق في ذلك الاحتفال ( تك ٢١ : ٨ وما بعدها ) ، وخلق مشاكل في البيت . عندئذ لم يكن هنالك سوى حل واحد - ومكف في الوقت ذاته - ألا وهو أن يرحل إسماعيل مع أمه ، وهكذا فعل إبراهيم بقلب كسير حسبما قال الرب له ( تك ٢١ : ٩ - ١٤ ) .

قد تبدو هذه القصة ظاهرياً كأنها مشكلة عائلية ، لكنها - في الواقع - تتضمن معاني كثيرة ذات قوى روحية عظيمة . فإبراهيم والزوجتان والابنان يمثلون حقائق روحية ، وعلاقاتهم معاً تُعلّمنا دروساً هامة .

## ثانياً : الحقائق الروحية

( غل ٤ : ٢٤ - ٢٩ )

هنا بدأ الرسول يشرح المعاني خلف تلك الأحداث التاريخية ، وربما يسهل فهمها حسب الجدول التالي :

|                              |                        |
|------------------------------|------------------------|
| العهد القديم                 | العهد الجديد           |
| الناموس                      | النعمة                 |
| هاجر الجارية                 | سارة الحرة             |
| الحبل بحسب الجسد « إسماعيل » | الحبل المعجزي « إسحق » |
| أورشليم الأرضية              | أورشليم السماوية       |
| المستعبدة                    | الحرة                  |

بدأ الرسول بالابنين إسماعيل وإسحق ( غل ٤ : ٢٢ و ٢٣ ) ، وشرح أنهما يوضحان لنا نوعين من الميلاد . الميلاد الجسدي الذي يجعل منا خطاة ، والميلاد الروحي الذي يجعلنا أولاداً لله . وعندما تفكر في هذا الموضوع وتقرأ ( تك ٢١ :

( ١٢ - ١ ) سوف تكتشف بعض الحقائق الروحية الرائعة عن خلاصك ، وستجد أن إسحق يمثل المؤمن من عدة جوانب هي :

(١١) **وُلد بقوة الله** : والواقع أن الله تعتمد أن ينتظر خمسة وعشرين عاماً قبل أن يعطي إبراهيم وسارة ابنهما . ولذلك قال الرسول عنه إنه « ولد حسب الروح » ( غل ٤ : ٢٩ ) . وبالطبع فإن المؤمن « مولود من الروح » ( يو ٣ : ١ - ٧ ) . وقد أتى إسحق إلى العالم من خلال إبراهيم ( الذي يمثل الإيمان غل ٣ : ٩ ) ، ومن خلال سارة ( التي تمثل النعمة ) ؛ وهكذا يكون قد ولد « بالنعمة ، وبالإيمان » مثل كل مؤمن حقيقي ( أف ٢ : ٨ و ٩ ) .

(٢١) **جلب سروراً** : فاسمه يعني « ضحك » ، وبلا شك فرح به أبواه المسنان . وهكذا الخلاص أيضاً .. فهو اختبار للفرح ليس فقط للشخص نفسه ، بل لكل مَنْ هم حوله أيضاً .

(٣) **كبر وقُطِم** ( تك ٢١ : ٨ ) : أيضاً الخلاص هو البداية لا النهاية ، فبعد الولادة هناك النمو ( ١ بط ٢ : ٢ ؛ ٢ بط ٣ : ١٨ ) . ومع النمو والنضوج يأتي الفطام الذي يعني التحلي عن كل ما هو للأطفال ( ١ كو ١٣ : ١١ ) . ما أسهل أن نمسك « باللعب » التي كانت لنا في طفولتنا ، لكننا نفشل أن نمسك « بالأدوات » التي يجب أن تكون لنا كمؤمنين بالغين . والطفل لا يستمتع بعملية ( أو فترة ) الفطام ، لكن بدونها لن يصير رجلاً أبداً ( راجع مز ١٣١ ) .

(٤) **كان مضطهداً** ( تك ٢١ : ٩ ) : كان إسماعيل ( الجسد ) يسبب مشاكل لإسحق ، تماماً كما تسبب طبيعتنا القديمة مشاكل لنا ( وسوف يناقش الرسول ذلك تفصيلاً في غل ٥ : ١٦ وما بعدها ) . ولكن قبل ولادة إسحق لم يسبب إسماعيل أية مشاكل في البيت ، وهكذا لا تسبب طبيعتنا القديمة أي مشاكل لنا ما لم ترتبط بشخص المسيح بالخلاص ؛ فتدخل إلينا الطبيعة الجديدة . وفي بيت إبراهيم نرى صورة للصراع الذي يواجهه المؤمنون اليوم ، فهناك :

هاجر وسارة .. الناموس مقابل النعمة

إسماعيل وإسحق .. الجسد مقابل الروح

ولابد أن نلاحظ أنه يصعب فصل هذه العناصر الأربعة عن بعضها . أما جماعة اليهوديين فقد كانوا يعلمون بأن الناموس يجعل المؤمن أكثر روحانية . لكن

الرسول وضع أن الناموس يطلق فقط مقاومة الجسد ، ومن ثم يبدأ الصراع داخل المؤمن ( رو ٧ : ١٩ ) . ولم يكن هناك ناموس قوياً وكافياً سواء للتغيير أو للسيطرة على إسماعيل ، إلا أن إسحق لم يكن محتاجاً إلى أي ناموس ، وهكذا صح القول : ” إن الطبيعة القديمة لا تعرف ناموساً ، والطبيعة الجديدة لا تحتاج إلى ناموس ! “

وبعد أن شرح الرسول التباين بين الاثنين ، تحول الرسول لشرح موقف الزوجتين سارة وهاجر . لقد أوضح بمثالين التباين بين الناموس والنعمة ، وبرهن أن المؤمن ليس تحت الناموس ، لكنه تحت الحرية الممتعة النابعة من نعمة الله . ولنلاحظ بعض الحقائق بخصوص هاجر والتي تثبت أن الناموس لم تعد له قوة بعد على المؤمن :

(١) كانت هاجر هي الزوجة الثانية لإبراهيم : لقد بدأ الله بسارة وليس بهاجر . وهكذا في معاملات الله مع الناس فهو يبدأ بالنعمة .

ففي جنة عدن كانت عناية الله بآدم وحواء على أساس النعمة ، وحتى بعد سقوطهما أعطاهما الله أقمصه من جلد لسترهما بالنعمة ( تك ٣ : ٢١ ) . لم يعطهما قوانين لكي يطيعوها كسبيل للفداء ، بل على العكس أعطاهما وعداً مباركاً ليؤمنوا به ، وهو وعد الفادي المنتصر ( تك ٣ : ١٥ ) .

وفي علاقة الله مع إسرائيل أيضاً ، تعامل الله معهم على مبدأ النعمة وليس الناموس . وعهده مع إبراهيم ( تك ١٥ ) كان على أساس النعمة ؛ لأن إبراهيم كان نائماً عندما تأسس هذا العهد . وعندما حرر الله الشعب من مصر كان ذلك على أساس النعمة وليس الناموس ؛ لأنه لم يكن قد أُعطي بعد . مثل هاجر زوجة إبراهيم الثانية « قد زيد » ( غل ٣ : ١٩ ) . لقد قامت هاجر بمهمة مؤقتة ثم اختفت من المشهد .. مثل الناموس الذي كان له وظيفة خاصة ثم تنحى جانباً ( غل ٣ : ٢٤ و ٢٥ ) .

(٢) كانت هاجر جارية : في هذا الجزء تُدعى هاجر « جارية » خمس مرات ( غل ٤ : ٢٢ و ٢٣ و ٣٠ و ٣١ ) ، أو « مستعبدة » .. أما سارة فهي حرة ؛ لذلك كان مؤسس على مقامها الحرية . أما هاجر فبالرغم من زواجها بإبراهيم فقد ظلت خادمة ، وهكذا أيضاً الناموس فقد أُعطي كخادم . « فلماذا الناموس ( كخادم ) » ( غل ٣ : ١٩ حسب ترجمة أخرى ) . لقد خدم الناموس

كمرأة كشفت خطايا الإنسان ( رو ٣ : ٢٠ ) ، ثم كشاشة عرض تبين تحركات الإنسان ، لتقوده في النهاية إلى المسيح ( غل ٣ : ٢٣ - ٢٥ ) ، لكن الناموس لم يكن الغرض منه أن يكون « الأم » !

(٣) **لم يكن القصد أن تلد هاجر طفلاً** : لأن زواج إبراهيم منها لم يكن حسب إرادة الله ، بل كان نتيجة لعدم إيمان سارة وإبراهيم ونفاذ صبرهما . وقد حاولت هاجر أن تقوم بما كان في استطاعة سارة أن تقوم به ، لكنها فشلت . فالناموس لا يُحيي ( ٣ : ٢١ ) ، ولا يعطي برّاً ( غل ٢ : ٢١ ) ، ولا موهبة الروح القدس ( غل ٣ : ٢ ) ، ولا ميراثاً روحياً ( غل ٣ : ١٨ ) . أما إسحق فقد وُلد وريثاً لإبراهيم ( تك ٢١ : ١٠ ) ، ولم يستطع إسماعيل أن يشترك في ذلك الميراث .

كان المتهودون يحاولون أن يجعلوا من هاجر أمّاً ثانية ، بينما كان الرسول يتمخض روحياً من أجل أهل غلاطية لكي يتصور المسيح فيهم . وهكذا لا يستطيع التدين ، ولا التمسك بالناموسية أن يعطيا الخاطئ الميت حياة ؛ فالمسيح فقط يستطيع ذلك بواسطة الإنجيل .

(٤) **لقد ولدت هاجر عبداً** : كان إسماعيل « إنساناً وحشياً » ( تك ١٦ : ١٢ ) ، ومع كونه عبداً ، لم يستطع أحد أن يسيطر عليه ولا حتى أمه ! وهكذا الطبيعة القديمة ( الجسد ) مثل إسماعيل فهي في حرب مع الله ، ولا يستطيع الناموس أن يغيرها أو يسيطر عليها . وبحسب الطبيعة فإن « الروح والجسد يقاوم أحدهما الآخر » ( غل ٥ : ١٧ ) ، ولا يمكن للنشاط الديني مهما كان أن يغير الصورة . فكل من يختار الناموس أمّاً له فهو يدخل إلى العبودية ( غل ٤ : ٨ - ١١ و ٢٢ - ٢٥ و ٣٠ و ٣١ : ٥ ) . لكن كل من يختار النعمة أمه فسوف يتمتع بالحرية في المسيح ، وهكذا يريد الله أن يُبقي أولاده أحراراً ( غل ٥ : ١ ) .

(٥) **لقد طُرِدَت هاجر خارجاً** : كانت سارة هي التي صدر عنها الأمر : « اطرد الجارية وابنها » ( تك ٢١ : ٩ ، ١٠ ) ، ووافق الله على ذلك ( تك ٢١ : ١٢ ) . ومع أن إسماعيل بقى في المنزل ١٧ عاماً إلا أن بقاءه لم يكن دائماً لأنه طُرِد في النهاية ، لأنه لم يعد هناك مكان في البيت لهاجر وإسماعيل مع سارة وإسحق ، ولابد أن يذهب اثنان منهما .

من المستحيل أن يصل الناموس والنعمة - أو الجسد والروح - إلى حل وسط ويبقيان معاً . فلم يطلب الله من هاجر وإسماعيل أن يقوموا بزيارات في بعض الأحيان للبيت لأن صلة القرابة قد انقطعت تماماً . فمن المستحيل خلط الناموس مع النعمة ، أو هبة بر الله مع محاولات الإنسان لتبرير نفسه ، وهذا ما حاول أن يفعله المتهودون .

(٦) **لم تتزوج هاجر مرة أخرى** : لم يعط الله ناموسه إلى أية أمة أو شعب آخر ، بما في ذلك كنيسه . أما أن يفرض المتهودون الناموس على مؤمني غلاطية فكان ذلك يتعارض مع خطة الله ذاتها . لقد كانت أمة إسرائيل في أيام الرسول بولس تحت عبودية الناموس ، بينما كانت الكنيسة تستمتع بالحرية تحت حكم « أورشليم التي من فوق » ( غل ٤ : ٢٦ ) . وقد أراد المتهودون أن « يزوجوا » جبل سيناء بجبل صهيون السماوي ( عب ١٢ : ٢٢ ) ، لكن ذلك كان يعني الإنكار لما عمله الرب يسوع على جبل الجلجثة ( غل ٢ : ٢١ ) ، فلا يمكن أن تتزوج هاجر مرة أخرى .

وربما يبدو من الناحية البشرية قساوة أمر الله إلى إبراهيم أن يرسل ابنه إسماعيل الذي أحبه جداً إلى البرية . لكنه كان الحل الوحيد للمشكلة ؛ لأن « الإنسان الوحشي » لا يمكن أن يعيش مع ابن الموعد . ولعلنا بمفهوم أعمق نفكر في مقدار ما تكلفه الله عندما بذل ابنه لكي يحمل لعنة الناموس حتى نطلقنا أحراراً ! إن قلب إبراهيم المكسور كان يعني حرية إسحق ، وعندما بذل الله ابنه كان ذلك يعني حريتنا في المسيح .

## ثالثاً : البركات العملية

( غل ٤ : ٣٠ و ٣١ )

نحن المؤمنون - مثل إسحق - أولاد الموعد بالنعمة . وعهد النعمة مُصور في سارة التي هي أمنا الروحية ، أما الناموس والطبيعة القديمة فإنهما يريدان أن يضطهدانا ويأتيا بنا إلى العبودية ، فكيف يتسنى لنا إذاً أن نحل هذه المشكلة ؟

(١) **يمكننا أن نحاول تغييرهما** : ولابد أن يفشل ذلك ؛ لأننا لا نستطيع أن نغير سواء الناموس أو الطبيعة القديمة ، فإن « المولود من الجسد جسد هو » ( يو ٣ : ٦ ) ، ويمكن أن نضيف أنه سوف يبقى دائماً جسداً . لم يحاول الله

أن يغير إسماعيل أو هاجر لا بالقوة ولا بالتعليم ، وهكذا لا أستطيع أنا ولا أنت أن نغير الناموس ، أو الطبيعة القديمة .

(٢) **يمكننا أن نجرب التوفيق بينهما** : لكن ذلك لم يحدث في بيت إبراهيم ، ولن يصلح أن يحدث في حياتنا . فقد حاول أهل غلاطية ذلك الحل الوسط ، إلا أنه قادهم تدريجياً إلى العبودية . قد يقول المعلنون الكذبة : " لا تتركوا المسيح لكن تقدموا إلى عمق أكثر في الحياة المسيحية ، وذلك بممارسة الناموس جنباً إلى جنب مع إيمانكم بالمسيح ! " لكن دعوة هاجر وإسماعيل للعودة إلى البيت مرة أخرى كان طريق العودة إلى العبودية . وهنا يقول الرسول : « كيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟ » ( غل ٤ : ٩ ) .

(٣) **نستطيع أن نطردهما** : وهذا ما يجب أن نفعله . ففي البداية طبق الرسول ذلك على الأمة الإسرائيلية ( غل ٤ : ٢٥ - ٢٧ ) ، ثم طبقه على المؤمن بصفة شخصية . كانت أمة إسرائيل في عبودية تحت الناموس ، لكن ذلك كان مؤقتاً لكي يعدهم لمجيء المسيح . والآن قد أتى المسيح ، فلا بد إذن أن يذهب الناموس . لقد جاء المسيح - مثل إسحق ابن الموعد - مولوداً بطريقة معجزية بقوة الله ، وطالما أنه جاء ومات عن الناس فالناموس لابد أن يمضي .

ثم اقتبس الرسول من ( إشعياء ٥٤ : ١ ) مطبقاً كلامه على سارة التي كانت عاقراً قبل ميلاد إسحق ، وكذلك مطبقاً إياه على الكنيسة ( غل ٤ : ٢٧ ) . ولنلاحظ الفروق كما يلي :

|                |                |
|----------------|----------------|
| أمة إسرائيل    | الكنيسة        |
| أورشليم أرضية  | أورشليم سماوية |
| عبودية         | حرية           |
| ناموس غير مثمر | نعمة مثمرة     |

لقد كانت سارة عاقراً ، لكنها حاولت أن تكون مثمرة بأن زوجت هاجر لإبراهيم . لكن ذلك فشل وأدى فقط إلى وجود مشكلة . فالناموس لا يعطي حياة أو ثمراً ؛ فالناموسية تبقى عاقراً . إن عودة الكنيسة الأولى إلى العبودية كانت تعني العقم وعصيان كلمة الله ، ولكن بسبب النعمة انتشرت في العالم ، وأثمرت .

لكن بعض الكنائس والمؤمنين قد يكررون نفس الخطأ الذي فعله أهل غلاطية إذ يفشلون في التخلص من الناموس ؛ وهكذا تصبح الناموسية من أكبر المشاكل وسط المؤمنين . لكن لابد أن نتذكر أن الناموسية لا تعني إبطال المقاييس الروحية ولكنها تعني عبادة تلك المقاييس . والاعتقاد بأننا نصبح روحانيين بسبب طاعتنا لها يعني كذلك دينونة الآخرين على أساس تلك المقاييس . فالإنسان قد يتوقف مثلاً عن التدخين ، والخمر ، والذهاب إلى الحانات ، ويبقى بالرغم من ذلك شخصاً غير روعي . لقد كان للفريسيين مقاييس عالية ، ورغم ذلك فقد صلبوا الرب يسوع .

إن الطبيعة القديمة تحب الناموسية ؛ لأنها تعطيها الفرصة أن تظهر صالحة . فلم يكن إسماعيل يتكلف كثيراً ليمتنع عن فعل أمور معينة ، أو القيام ببعض الأعمال الدينية فقط مجرد أن يبقى كما هو إسماعيل . فلمدة ١٧ عاماً لم يسبب أية مشكلة في البيت إلى أن أتى إسحق فحدث الصراع . هكذا المؤمن الذي يدّعي بأنه روعي لأجل شيء ما يفعله فقط فهو يخدع نفسه ؛ لأن الحياة المسيحية المثمرة تحتاج إلى مواقف إيجابية .

ولا شك أن المتهودين كانوا أشخاصاً جذابين ، ويحملون مؤهلات من سلطات دينية ( ٢ كو ٣ : ١ ) . وكانت لهم مقاييس عالية ومدققين في مآكلهم ومشربهم ، لذلك كانوا فعالين في جذب الكثيرين ، وكانوا يحبون الإعلان عن منجزاتهم ( غل ٤ : ١٧ و ١٨ ؛ ٦ : ١٢ - ١٤ ) . كما كان لهم نظم وقواعد تخص كل مجالات الحياة مما يسهل على تابعيهم معرفة أي شئ ، وما إذا كان « روحياً » أم لا . لكنهم كانوا يقودون الناس إلى العبودية والهزيمة لا إلى الحرية أو الانتصار . إلا أن الناس لم يعرفوا الفرق آنذاك .

وسوف يُشير الرسول في الأصحاحات الختامية للرسالة إلى أعظم مآسي الناموسية ، وهي أنها تعطي فرصة للجسد لكي يعمل . وإذا كانت الطبيعة القديمة لا يمكن السيطرة عليها بالناموس فإنها سوف تتحطم في النهاية . ولهذا نجد أن الجماعات الدينية الناموسية تكثر فيها الحروب والانقسامات .. « تنهشون بعضكم بعضاً .. كما تكثر خطايا الجسد » ( غل ٥ : ١٥ و ١٩ وما بعدها ) . بينما كل كنيسة لها نصيبها من تلك المشاكل ، إلا أن المشاكل تبرز بصفة خاصة في الأجواء التي تسود فيها الروح الناموسية . فعندما تدعو هاجر وإسماعيل أن يعيشا مع سارة وإسحق ، فأتت تجلب المشاكل .



شكرًا لله أن المؤمن ابتعد عن لعنة الناموس وحكمه . إن ما فعله إبراهيم مع هاجر وإسماعيل يؤلنا بعمق ، لكن كان لابد من حدوثه . فمحاولة مزج الناموس والنعمة معًا ، هو محاولة المستحيل ! فالناموسية تثبط من عزيمة المؤمن وتجعل حياته مجدبة . لكن الحياة بالنعمة بالإيمان فإن يعطي المؤمن حياة الحرية والملاء . لكن ما هو السر ؟ إنه الروح القدس . هذا هو السر الذي سوف يشرحه الرسول في الجزء الختامي العملي من الرسالة . ولكننا في الوقت ذاته علينا أن نحذر من أن ترحف الناموسية إلى حياتنا ، وإن حدث ذلك فعليك بطردها خارجًا مهما كان ذلك مؤلمًا .

**ثالثاً : القسم العملي**  
**النعمة والحياة المسيحية**  
**الأصحاحان الخامس والسادس**



## كُفْ أَيُّهَا اللص !

غلاطية ٥ : ١ - ١٢

كان المتهودون يصرخون : " ما أخطر تعليم بولس عن النعمة ؛ لأنه يحل محل الناموس ! فنحن إذا تخلينا عن قواعدنا ومستوياتنا العالية فسوف تسقط الكنائس ! "

لم يكن هؤلاء فقط هم الجماعة الوحيدة التي تخوفت من الاعتماد على نعمة الله في القرن الأول الميلادي . فالناموسيون في كنائسنا اليوم يحذروننا حتى لا نعلم الناس عن الحرية التي لنا في المسيح لئلا ينتج عن ذلك فوضى دينية . ومثل هؤلاء الناس يسيئون فهم تعليم الرسول عن النعمة ، وقد كتب الرسول الجزء الأخير من الرسالة لكي يصحح لهم ذلك المفهوم الخاطئ ( غل ٥ و ٦ ) .

الآن يتحول الرسول من الحوار إلى التطبيق ، ومن الجزء التعليمي إلى العملي . فالمؤمن الذي يحيا بالإيمان لن يصبح عاصياً ، بل العكس ؛ لأنه سوف يختبر التعليم الداخلي لله . وهو أفضل جداً من التعليم الخارجي الذي هو عبارة عن قواعد من صنع الإنسان . ولا يمكن أن يصبح الإنسان عاصياً عندما يعتمد على نعمة الله ، ويخضع لروح الله ، ويعيش من أجل الآخرين ، ويسعى لتمجيد الله . أما الناموسي فهو الذي يعصى في النهاية ، لأنه يعيش في عبودية معتمداً على الجسد ، وطالباً مدح الناس لا مجد الله .

لا ! إن الخطير ليس تعليم الرسول بولس عن الحرية المسيحية من خلال النعمة ، لكن الناموسية هي التعليم الخطير لأنها تحاول صنع المستحيل .. وهو تغيير الطبيعة القديمة ودفعها لطاعة ناموس الله . وربما تنجح الناموسية لوقت قصير ، لكن سرعان ما يبدأ الجسد في العصيان . فالمؤمن الذي يعتمد كلية على قوة الروح لا ينكر أبداً ناموس الله ولا يعصى أوامره ، بل بالحرية فإن الناموس

قد أكمل فيه بواسطة الروح القدس ( رو ٨ : ١ - ٤ ) . ومن السهل متابعة تسلسل الفكر في هذين الأصحاحين الختامين كما يلي :

(١) لقد تحررتُ بالمسيح ، ولم أعد بعد تحت عبودية الناموس ( غل ٥ : ١ - ١٢ ) .

(٢) لكنني محتاج إلى شيء ما - أو شخص ما - ليعينني لأسيطر على حياتي الداخلية ، وهذا الشخص هو الروح القدس ( غل ٥ : ١٣ - ٢٦ ) .

(٣) من خلال محبة الروح القدس تصير لي الرغبة للحياة من أجل الآخرين ، وليس من أجل ذاتي ( غل ٦ : ١ - ١٠ ) .

(٤) ما أروع حياة الحرية ! ولعلي أحيها لمجد الله لأنه هو الذي مكنني من ذلك ( غل ٦ : ١١ - ١٨ ) .

الآن لنقارن هذا مع اختبار الشخص الذي يختار الحياة تحت الناموس ، أو الذي ينضم لجماعة دينية منحرفة :

(١) إذا كنت أطيع تلك القواعد فسوف أصبح شخصاً أكثر روحانية ، فأنا معجب جداً بهذا النظام الديني ، ولذلك أخضع له .

(٢) أعتقد أن لدي القوة للطاعة ولتحسين نفسي ؛ فأنا أفعل ما يقال لي ، وأقيس نفسي بحسب المستويات المعطاة لي .

(٣) لا شك أنني أتقدم ! فلم أعد أفعل بعض ما تعودت عليه ، وهناك مَنْ يمدحونني بسبب طاعتي وانضباطي . وأشعر بأنني أفضل من غيري في شركتي ! ما أروع هذه الروحانية !

(٤) لكم أود أن يكون الآخرون مثلي ! فما أسعد الله بي ! كما أن لي رغبة في مشاركة الآخرين بهذا الاختبار حتى يكونوا مثلي . كما أن جماعتنا صارت تنمو ولها سمعة طيبة . أما المجموعات الأخرى فليست بالدرجة الروحية التي لنا .

وأيًا كانت نظرتك إلى هذه الأفكار ، فإن الناموسية عدو خطير وماكر ، وكل مَنْ يتخلى عن النعمة ويلتجئ إلى الناموس فإنه يخسر دائماً . ويشرح الرسول في هذا الجزء ( غل ٥ : ١ - ١٢ ) ماذا يخسر المؤمن عندما يتحول عن نعمة الله إلى نظم وقواعد الإنسان .

## أولاً : العبد يخسر حرية

( غل ٥ : ١ )

استخدم الرسول مقارنتين لكي يبين لقرائه ما الذي يشبه الناموس بالضبط : الحارس أو المؤدّب ( غل ٣ : ٢٤ : ٤ : ٢ ) ، والجارية ( غل ٤ : ٢٢ وما بعدها ) ، كما يقارنه هنا بنير العبودية . ولعلنا نتذكر أن الرسول بطرس استخدم نفس الكلمة في مجمع أورشليم الشهير ( أع ١٥ : ١٠ ) .

ليس من الصعب علينا أن نفهم صورة النير ، فهي تمثل العبودية والخدمة وسيطرة أحدهم على حياتك . كما قد تعني الاستعداد للخدمة والخضوع لشخص آخر . فعندما حرر الله إسرائيل من عبودية المصريين كان ذلك كسرًا للنير كقول الكتاب « وقطع قيود نيركم » ( لا ٢٦ : ١٣ ) . مثل الفلاح الذي يستخدم النير لكي يتحكم في ثيرانه ويقودها ؛ لأنها لن تخدمه متى كانت حرة طليقة .

عندما آمن الغلاطيون بالمسيح تخلصوا من نير عبوديتهم للخطية ، وحملوا نير المسيح ( مت ١١ : ٢٨ - ٣٠ ) . لكن نير التدين صعب والأحمال ثقيلة ، أما نير المسيح فهينٌ وحمله خفيف . كلمة « هين » في اليونانية تعني « حنوناً ، أو لطيفاً » . إن نير المسيح يحررنا ليتم مشيئته ، لكن نير الناموس يستعبدنا . فالشخص غير المخلص يلبس نير الخطية ( مراثي إرميا ١ : ١٤ ) ، والناموسي المتدين يلبس نير العبودية ( غل ٥ : ١ ) ، أما المؤمن الذي يعتمد على نعمة الله فإنه يلبس نير المسيح الذي يحرر .

إنه المسيح الذي أعتقنا من عبودية الناموس ، وقد حررنا من لعنة الناموس بموته عنا على الخشبة ( غل ٣ : ١٣ ) . فلم يعد المؤمن تحت الناموس بل تحت النعمة ( رو ٦ : ١٤ ) . ولا يعني ذلك أننا خارجون على الناموس أو عصاة ، لكن يعني ببساطة أننا لم نعد في حاجة إلى القوة الخارجية للناموس لكي نحفظنا في مشيئة الله ، ذلك لأن لنا القيادة الداخلية لروح الله القدوس ( رو ٨ : ١ - ٤ ) . لقد مات المسيح ليحررنا ، لا ليجعلنا عبيداً . فالعودة إلى الناموس يعني أنك تُمسي مرتبكاً ومتحيراً بين « افعل » و « لا تفعل » ! ومن ثمّ تهجر « النضج الروحي » وتعود إلى « الطفولة » مرة أخرى .

من المؤسف أن البعض يشعرون بعدم الأمان مع الحرية ، ويفضلون بالحري أن يظلوا تحت طغيان أحد القادة عن أن يقرروا لأنفسهم شيئاً بحرية . هناك

بعض من المؤمنين الذين يتخوفون من الحرية التي لهم في نعمة الله ، لذلك فهم يسعون إلى شركة تتميز بالناموسية والدكتاتورية حيث يتركون الآخرين يتخذون قرارات لهم . بذلك فهم يشبهون البالغ الذي يريد أن يعود إلى المهد ( سرير الطفل ) . أما طريق الحرية المسيحية فهو طريق الملء والكمال في المسيح . فلا عجب أن الرسول يحذرننا بالقول : « فاشتبوا إذًا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » ( غل ٥ : ١ ) .

## ثانياً : المديون يخسر ثروته ( غل ٥ : ٢ - ٦ )

يستخدم الرسول ثلاثة تعبيرات لشرح ما يخسره المؤمن ، ويتعرض له عندما يتحول من النعمة إلى الناموس ، كما يلي : « لا ينفعكم المسيح شيئاً » ( غل ٥ : ٢ ) ، « ملتزم أن يعمل بكل الناموس » ( غل ٥ : ٣ ) ، « تبطلتم عن المسيح » .. أي أصبح بلا تأثير عليكم ( غل ٥ : ٤ ) ، وهذا يؤدي إلى النتيجة المؤسفة فيقول في ( غلاطية ٥ : ٤ ) « سقطتم من النعمة » . وإن كان شيئاً أن الناموسية تسلب المؤمن حريته ، لكنها أيضاً تسلبه ثروته الروحية في المسيح . فالمؤمن الذي يحيا تحت الناموس يصبح عبداً مفلساً .

تعلمنا كلمة الله أننا كنا مديونين قبل أن نؤمن بدين لم يكن في استطاعتنا تسديده . وقد شرح الرب يسوع ذلك في مثل المديونين ( لو ٧ : ٣٦ - ٥٠ ) . فكان هناك رجلان مديونين لدائن . أحدهم كان مديوناً أكثر من الآخر بعشرة أضعاف ، ولم يكن في استطاعتهما تسديد الدين . لكن الدائن بكل شفقة وحنو سامحهما كليهما ! بغض النظر عن الأخلاقيات الراقية للإنسان فإنه يبقى في عوز لمجد الله ، وحتى لو كان مديناً بعشر خطايا الآخرين ، فإنه يبقى غير قادر على تسديد الدين ، مفلساً أمام قضيب دينونة الله . لكن الله في نعمته ، وعلى أساس عمل المسيح على الصليب قادر على أن يغفر خطايا الخطاة مهما كانت مديونيتهم كبيرة .

هكذا عندما نضع ثقتنا في المسيح نصبح أغنياء روحياً ، ونحن نشترك الآن في غنى نعمة الله ( أف ١ : ٧ ) ، وغنى مجده ( أف ١ : ١٨ ) ؛ في ٤ : ١٩ ) ، وغنى حكمته ( رو ١١ : ٣٣ ) ، وغنى المسيح الذي لا يستقصى ( أف ٢ : ٨ ) . وفي المسيح لنا كل « كنوز الحكمة والعلم » ( كو ٢ : ٣ ) ، ونحن

« مملوون فيه » ( كو ٢ : ١٠ ) . وما أن يصبح الإنسان « في المسيح » فإن له كل ما يحتاج لكي يحيا الحياة المسيحية كما يريده الله أن يحيها .

إلا أن المتهودين يريدون إقناعنا بأننا « نفتقد شيئاً ما » ، وبأننا سوف نصبح أكثر « روحانية » إذا مارسنا الناموس بكل تعاليمه ومطالبه . لكن الرسول بولس يعلن بوضوح أن الناموس لا يضيف شيئاً لأنه لا يمكن إضافة شيء آخر ! لكن الناموس يسلب المؤمن الغنى الروحي الذي له في المسيح ، ويتركه مفلساً ومديوناً بدين لا يستطيع أن يفي به .

إن الحياة بالنعمة تعني الاعتماد على تسديد الله الوفير لكل الاحتياجات . لكن الحياة بالناموس معناها الاعتماد على القوة الذاتية ( الجسد ) بعيداً عن مؤازرة الله . وهنا يحذر الرسول مؤمني غلاطية من أن خضوعهم للختان في تلك الظروف سوف يسلبهم كل المنافع التي لهم في المسيح ( مع أن الختان في حد ذاته موضوع آخر غل ٥ : ٦ : ٦ : ١٥ ) ، وفوق ذلك فإن خضوعهم للختان سوف يضعهم تحت الالتزام بطاعة كل الناموس .

وهنا يظهر رياء الناموسيين لأنهم يفشلون في حفظ كل الناموس . إنهم ينظرون إلى العهد القديم مثل العميل الذي يخدم نفسه في مطعم للأكل - في بوفيه مفتوح - فيختارون ما يشاءون ويتركون الباقي ، لكن هذه ليست أمانة . فعلى سبيل المثال إن علمنا المؤمن المسيحي اليوم بأن يحفظ السبت ، وفي نفس الوقت لا يصنع الفصح فكأننا لا نذكره بناموس الله ، والله الذي أعطى الناموس أعطى هذه الوصية ، وهو أيضاً الذي أعطى بقية الوصايا ( يع ٢ : ٩ - ١١ ) . ولقد سبق أن اقتبس الرسول من موسى لكي يثبت أن لعنة الناموس تأتي على كل من يفشل في حفظ كل الناموس ( غل ٣ : ١٠ ؛ انظر تث ٢٧ : ٢٦ ) .

تصور أن قائد سيارة اخترق الإشارة الحمراء سواء عمداً أم عفواً ، ثم عندما يتقدم إليه رجل البوليس ليسأله عن رخصة قيادته ، يبدأ في الدفاع عن نفسه ، فيقول لرجل البوليس إنه لم يسرق أحداً ، ولم يرتكب خطايا شنيعة قبل ذلك ، ولم يخدع أحداً ! لكن رجل البوليس بيتسم وهو يحرر له مخالفة لأنه مهما كان مطيعاً للقانون فإن ذلك لا يعفيه من عقاب عصيانه في عمل ما . فالقانون واحد ، وهو كما يحمي المطيع كذلك يعاقب المخالف . أما أن أفخر بأنني أحفظ جزءاً من الناموس بينما أكسر الباقي ، فذلك اعتراف ضمني بأنني مستحق العقاب .



ولعلنا نفهم الآن أكثر ما قصده الرسول بقوله : « سقطتم من النعمة » ( غل ٥ : ٤ ) . فبال تأكيد لم يقصد الرسول أن الغلاطيين قد فقدوا خلاصهم ؛ لأنه كان يتعامل معهم كمؤمنين خلال الرسالة كلها ، وقد دعاهم « إخوة » تسع مرات على الأقل . كما استخدم ضمير المتكلمين « نحن » ( غل ٤ : ٢٨ و ٣١ ) ، ولو كانوا من الهالكين لما فعل الرسول ذلك مع قرائه . ثم يقول بكل شجاعة : « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب » ( غل ٤ : ٦ ) .

وهكذا فالقول « سقطتم من النعمة » لا يعني فقدان الخلاص ، لكنه يعني الخروج من دائرة نعمة الله ؛ لأنه لا يمكن خلط النعمة مع الناموس ، ومتى قررت أن تعيش في دائرة الناموس فإنك لن تستطيع أبداً أن تعيش في دائرة النعمة . وكما نعلم فإن الغلاطيين قد سحرهم - رقاهم - المعلمون الكذبة ( غل ٣ : ١ ) ، وبالتالي لم يطيعوا الحق ، وتحولوا إلى إنجيل آخر ( غل ١ : ٦ - ٩ ) ، ورجعوا إلى الأمور البدائية للديانة القديمة ( غل ٤ : ٩ ) . ونتيجة لذلك « ارتبكوا » بنير عبودية ، وقادهم هذا إلى وضعهم آنذاك : « سقطتم من النعمة » . وقد كانت مأساة ذلك السقوط هو أنهم حرموا أنفسهم من كل الأمور الرائعة التي صنعها لهم الرب يسوع المسيح .

ثم قدم الرسول بعد ذلك حياة المؤمن في دائرة النعمة ( غل ٥ : ٥ و ٦ ) ، وبذلك نستطيع مقارنة الطريقين المتاحين للحياة . فعندما تعيش بالنعمة فأنت تعتمد على قوة الروح القدس ، لكنك إذا كنت تحيا تحت الناموس فاعتمادك سيكون على نفسك ومجهوداتك الشخصية . ولا يوجد إيمان ميت ؛ لأن الإيمان « يعمل » ( انظر يعقوب ٢ : ١٤ - ٢٦ ) . إلا أن مجهودات الجسد لا يمكن أبداً أن تنجز ما ينجزه الإيمان من خلال عمل الروح القدس . فالإيمان يعمل من خلال .. محبة الله ومحبة الآخرين . وللأسف فإن الجسد لا يصنع محبة ، بل غالباً يُنتج أنانية ومناقسة ( غل ٥ : ١٥ ) . ولا عجب إذاً أن يصور الرسول حياة الناموسية كأنها سقوط !

وعندما يسلك المؤمن بالإيمان معتمداً على روح الله فإنه يحيا في دائرة نعمة الله ويحصل على كل ما يحتاج إليه . ومن ثم يختبر غنى نعمة الله ، ويتطلع دائماً إلى اليوم الذي سوف يعود فيه الرب يسوع لكي يجعلنا مثله في بر كامل ( غل ٥ : ٥ ) . أما الناموس فلا يعطي وعداً بالبر الكامل في المستقبل ، وإن كان الناموس قد مهد السبيل للمجيء الأول للمسيح ، لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك

بالنسبة للمجيء الثاني للمسيح . وهكذا ، فالمؤمن الذي يختار الخضوع للناموس يحرم نفسه من الحرية الروحية ، والغنى الروحي ، ويضع نفسه باختياره تحت العبودية والإفلاس .

### ثالثاً : العداء سوف يفقد اتجاهه ( غل ٥ : ٧ - ١٢ )

كان الرسول مغرمًا بالإيضاحات الرياضية ، واستخدمها كثيراً في رسائله . وقد كانت المباريات الأولمبية والمسابقات الرياضية اليونانية الأخرى ، والتي كانت تتضمن باستمرار مسابقات الجري مألوفة لدى قرائه ، ولا بد من ملاحظة أن الرسول لم يستخدم أبداً تشبيه السباق لكي يخبر الناس عن كيفية الخلاص ، لكنه استخدمها دائماً في الحديث إلى المؤمنين عن كيفية الحياة المسيحية . فلم يكن بإمكان أي متسابق في المباريات اليونانية أن يشترك في السباق ما لم يكن مواطناً أصلاً . وهكذا فإننا عندما نصبح مواطنين سماويين بالإيمان بالمسيح ، فإن الرب يضعنا على الطريق ، وعلينا أن نجري لكي نفوز بالجائزة ( في ٣ : ١٢ - ٢١ ) . فنحن لا نجري حتى ننال الخلاص ، لكننا نجري لأننا قد خلصنا فعلاً ، ومن ثم نريد أن نتم إرادة الله في حياتنا ( أع ٢٠ : ٢٤ ) .

عندما أتى الرسول إليهم أولاً كانوا حقاً « يسعون حسناً » ، وقبلوه كملاك الله ( غل ٤ : ١٤ ) . كما قبلوا الكلمة المقدسة ، وآمنوا بالرب يسوع المسيح ، وقبلوا الروح القدس . وكان الفرع العميق واضحاً للكل ، وكانوا راغبين في أية تضحية لاستضافة الرسول بولس ( غل ٤ : ١٥ ) . أما وقد أصبح الآن عدواً فما الذي حدث ؟!

إن الترجمة الحرفية لـ ( غل ٥ : ٧ ) تعطينا الإجابة بمعنى : « لقد كنتم تسعون ( تركضون ) حسناً ، لكن مَنْ الذي اعترضكم حتى توقفتكم عن طاعة الحق ؟ » لقد كان على كل متسابق أن يلتزم بالدمار المحدد له ، لكن بعض المتسابقين كانوا يخرجون عنه لتعطيل المتسابقين الآخرين . وهذا ما فعله المتهودون لمؤمني غلاطية ، إذ اعترضوهم فاضطروهم لتغيير مسارهم إلى « منعطف روحي » . ولم يكن الله هو الذي فعل ذلك ، لأنه هو الذي دعاهم للسعي بإخلاص في طريق « النعمة » .

ثم تتغير صورة الحديث من الرياضة إلى الطهي إذ يقدم الرسول فكرة « الخمير » ، والتي كانت ترمز في العهد القديم إلى الشر . فعلى سبيل المثال لم يُسمح بوجود خمير في المنزل أثناء الفصح ( خر ١٢ : ١٥ - ١٩ : ١٣ ) . كما لم يُسمح للمتعبدين بخلط الخمير بالذبائح ( خر ٣٤ : ٢٥ ) ، ولكن كانت هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة . وقد استخدم الرب يسوع الخمير كصورة للخطية عندما حذر التلاميذ من « خمير الفريسيين » ( مت ١٦ : ٦ - ١٢ ) ، كما استخدمها الرسول بولس كرمز للخطية في كنيسة كورنثوس ( ١ كو ٥ ) .

والحقيقة أن الخميرة تعتبر تشبيهاً جيداً للخطية ، لأنها صغيرة ، ولكن متى تركت وحدها فإنها تنمو وتخمّر العجين كله . وهكذا دخل تعليم المتهودين كشيء صغير إلى كنائس غلاطية ، لكن بعد وقت قصير زادت الخميرة وظهر تأثيرها حتى إنها كادت أن تسود .

إن روح الناموسية لا تسود فجأة على الكنيسة ، ولكنها مثل الخميرة تدخل سراً وتنمو حتى تسمم الجماعة كلها . وفي معظم الأحيان تكون الدوافع إلى الناموسية صالحة ( مثلاً : نريد كنيسة أكثر روحانية ) إلا أن الأساليب لا تكون كتابية .

وليس خطأ أن توجد مستويات ومقاييس في الكنيسة ، لكن يجب ألا نلظن أن هذه المستويات سوف تجعل أي شخص روحياً ، أو أن السير بموجبها هو دليل الروحانية . فما أسهل أن تنمو الخميرة ، وهكذا يمكن أن نفتخر نحن بروحانياتنا - أو ننتفخ - كما قال الرسول لمؤمني كورنثوس : « أفأنتم منتفخون » ( ١ كو ٥ : ٢ ) هذا ما تفعله الخميرة بالضبط : إنها تنفخ ! ومن ثمّ ينتقد المؤمنون بعضهم بسبب قلة روحانيتهم ، وهذا بالطبع يغذي الجسد ، ويحزن الروح القدس ، ويسير كل واحد في طريقه ظناً منه أنه يمجّد الله !

إن كل مؤمن عليه مسئولية مراقبة « بدايات » تسلل الناموسية إلى حياته .. أي تلك الخميرة الصغيرة التي تغزو الجماعة ، وتصبح في النهاية مشكلة خطيرة . فلا عجب إذن من حرارة الرسول في فضحه للمعلمين الكذبة ، وكأنه يقول : « إني مضطهد بسبب كرازتي بالصليب ، أما هؤلاء المعلمون الكذبة فهم مشهورون لأنهم يركزون لكم بديانة تتفق مع الجسد ، وتغذي الذات ( الأنا ) ، فهل يريدونكم أن تحتننوا ؟ إني أود لو أنهم قطعوا أنفسهم ! » ( غل ٥ : ١١ و ١٢ )

منذ موت وقيامة المسيح لم يعد هناك فائدة روحية للختان ، وصار مجرد عملية جسدية . وقد تمنى الرسول لو أن هؤلاء المعلمون يقطعون أنفسهم ( أي يخصون أنفسهم ) حتى لا ينجبوا بعد « أولاداً للعبودية » .

إن المؤمن الذي يعيش في دائرة نعمة الله هو حر وغني ، ويجري في المضمار الذي يقوده إلى نوال الجائزة . أما المؤمن الذي يتخلى عن النعمة ويلجأ إلى الناموس فهو عبد فقير يسعى في خط بعيد ومنحرف عن الطريق الرئيسي ، وهو خاسر بلا شك . إن السبيل الوحيد للفوز هو « عزل الخمير » .. أي التعليم الكاذب الذي يخلط الناموس بالنعمة ، والخضوع للروح القدس .

إن نعمة الله كافية لكل جوانب الحياة . فنحن نخلص بالنعمة ( أف ٢ : ٨ - ١٠ ) ، ونخدم بالنعمة ( ١ كو ١٥ : ٩ و ١٠ ) ، النعمة تجعلنا قادرين على تحمل الآلام ( ٢ كو ١٢ : ٩ ) . إنها النعمة التي تقوينا حتى نكون جنوداً منتصرين ( ٢ تي ٢ : ١ ) . إن إلها هو إله كل نعمة ( ١ بط ٥ : ١٠ ) ، ونحن نستطيع أن نتقدم إلى عرش النعمة ونجد عوناً لكل ما نحتاجه ( عب ٤ : ١٦ ) . وعندما نقرأ الكتاب المقدس الذي هو كلمة نعمته ( أ ع ٢٠ : ٣٢ ) يعلن لنا روح النعمة ( عب ١٠ : ٢٩ ) مقدار الغنى الذي لنا في المسيح .  
« ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا . ونعمة فوق نعمة » ( يو ١ : ١٦ ) .  
لكم نحن أغنياء !



## الحرية الخامسة

غلاطية ٥ : ١٣ - ٢٦

في ٦ يناير ١٩٤١ تحدث الرئيس الأمريكي « فرانكلين روزفلت » أمام مجلس الشيوخ وقال إنه يتمنى أن يرى العالم - بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية - متمتعاً بأربع حريات أساسية هي : حرية الكلام ، وحرية العبادة ، والحرية من العوز ( الاحتياج ) ، والحرية من الخوف . وربما تحققت هذه الحريات بشكل أفضل مما كان يتمنى في ذلك الحين . إلا أن هناك حرية خامسة يحتاج إليها الإنسان ، وهي الحرية ( التحرر ) من نفسه ، ومن طغيان طبيعته الخاطئة !

لقد ظن الناموسيون أن لديهم الإجابة على مشكلات الناموس وتهديداته ، لكن الرسول قد شرح أنه مهما كانت درجة الشرعية الناموسية فإنها عاجزة عن تغيير طبيعة الإنسان الخاطئة . فليس الناموس - الذي هو من الخارج - بل المحبة في الداخل هي التي تصنع الفرق بين الحالتين . إننا نحتاج إلى قوة أخرى داخلية ، وهذه القوة تأتي من الروح القدس .

يوجد في هذه الرسالة - على الأقل - أربع عشرة إشارة إلى الروح القدس . فبعد الإيمان بالمسيح أتى الروح القدس للسكنى داخلنا ( غل ٣ : ٢ ) ، فنحن « مولودون حسب الروح » مثل إسحق ( غل ٤ : ٢٩ ) . فالروح القدس في القلب هو الذي يعطي تأكيد الخلاص ( غل ٤ : ٦ ) ، وهو الذي يمكننا من الحياة للمسيح ، ولتمجيده . إن الروح القدس ليس مجرد « تأثير إلهي » ، بل هو أقنوم - شخص - إلهي مثل الآب والابن . فما خطته الله الآب من أجلك ، وما اشتراه لك الله الابن على الصليب يقوم الله الروح القدس بإتاحته لك شخصياً ، مطبقاً إياه على حياتك طالما أنك تخضع له .

يمكننا أن نعتبر هذا الجزء محوري جداً في ختام الرسالة : لأن الرسول يشرح فيه ثلاث خدمات للروح القدس ، وهي التي تمكن المؤمن من التمتع بالحرية في شخص المسيح .

## أولاً : الروح القدس يمكننا من أن نكمل ناموس المحبة ( غل ٥ : ١٣ - ١٥ )

إننا كبشر عرضة للشطط ، فقد يُفسر البعض الحرية على أنها « فرصة » مفتوحة لعمل كل ما يريدون . بينما يرى آخرون خطأ ذلك الفكر فيندفعوا إلى الفكر المضاد بفرض الناموس على الجميع على حد سواء . أما الحرية المسيحية الحقيقية فهي تقف بين « الفرصة » من جانب و « الناموسية » من الجانب الآخر .

ولهذا بدأ الرسول بولس بشرح « دعوتنا » ، وحيث أننا قد دعينا إلى الحرية ، فالؤمن شخص حر : حر من ذنب الخطية لأنه اختبر غفران الله ، وحر من عقوبة الخطية لأن المسيح مات من أجله على الصليب . كما إنه حر بواسطة عمل الروح القدس من قوة الخطية في حياته اليومية ، وهو أيضاً حر من الناموس بكل ما له من متطلبات وتهديدات . فلقد حمل المسيح لعنة الناموس ، وأنهى طغيانه مرة واحدة وإلى الأبد . وهكذا فإننا قد دعينا إلى الحرية لأننا قد دعينا إلى نعمة المسيح ( غل ١ : ٦ ) ، والحرية والنعمة يسيران معاً .

وبعد أن شرح الرسول دعوتنا قدم تحذيراً بقوله : « لا تصيروا الحرية فرصة للجسد » . فهذا هو التخوف الذي يبديه الذين لا يفهمون معنى نعمة الله ، إذ يقولون : " إذا لم تلتزموا بالقواعد والنظم فإنكم سوف تخلقون التشويش والفوضى ! "

بالطبع هذا الخطر حقيقي ، ليس بسبب فشل نعمة الله بل لأن الناس يسقطون من نعمة الله ( عب ١٢ : ١٥ ) . فإذا كانت هناك « نعمة الله الحقيقية » ( ١ بط ٥ : ١٢ ) فهناك إذاً نعمة الله الكاذبة ، وبالتالي يكون هناك معلّمون كذبة ، وهم الذين « يحوّلون نعمة إلها إلى الدعارة » ( يهوذا ٤ ) . لذلك فإن تحذير الرسول بولس هنا له أهمية : لأن الحرية المسيحية ليست ترخيصاً ( أو فرصة ) للخطية ، بل فرصة للخدمة .

هذا يقودنا إلى الوصية : « بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً » ( غل ٥ : ١٣ ) . ومفتاح الحديث هنا بالطبع هو « المحبة » ، وتكون المعادلة المنطقية كما يلي :

حرية + محبة = خدمة للآخرين

حرية - محبة = إباحية ( عبودية للخطية )

قال أحدهم لزوجته : " سأحصل على يوم أجازة إضافي هذا الأسبوع ! أعتقد أنني سأستخدمه لإصلاح دراجة ابنتي . كما أنني سأصطحب ابنتنا في المساء إلى الملاهي ؛ فهي منذ أسابيع تطلب مني ذلك ! " أجابته الزوجة : " إن إصلاح دراجة ، والذهاب إلى الملاهي أشياء لا تبدو مثيرة لقضاء يوم أجازة ! " فسارعها بالقول : " إنها مثيرة مادمت أحب أبنائي ! "

إن الشيء العجيب في المحبة أنها تأخذ مكان كل نوااميس الله ، وقول مثل « تحب قريبك كنفسك » يحل كل مشاكل العلاقات الإنسانية ( راجع رو ١٣ : ٨ - ١٤ ) . فإذا كنت تحب الناس ( لأنك تحب المسيح ) فإنك لن تسرق منهم ، ولن تكذب عليهم ، ولن تحسددهم أو تؤذيهم ؛ فالمحبة في القلب هي البديل الإلهي للقانون أو التهديد .

عندما كان أولادنا صغاراً كنا نسكن بجوار طريق سريع مزدحم ، وكانوا يعرفون بأنهم سيضربون إذا اقتربوا من هذا الطريق . لكن عندما كبروا أدركوا أن الطاعة لها مكافأتها ، ومن ثم تعلموا الطاعة ليس فقط لتجنب الألم بل لكسب السرور أيضاً ! وإذ نعيش اليوم في داخل مدينة خطيرة ومزدحمة ويقود بعض أولادنا سياراتهم الخاصة ، إلا أننا لا نهدهم ولا نقدم لهم رشوة لكي نحافظ عليهم سالمين ؛ لأنهم قد تربوا وفي داخلهم دافع مُحِب ينظم حياتهم ، وبالتالي فهم لا يتعمدون أذية أنفسهم أو ذويهم أو الآخرين ؛ فالمحبة قد حلت مكان الناموس .

وعلى مستوى أعلى جداً من ذلك ، فإن الروح القدس داخلنا يعطينا المحبة التي نحتاج إليها ( رو ٥ : ٥ ؛ غل ٥ : ٦ و ٢٢ ) . ومن الواضح أن الغلاطيين كانت تنقصهم مثل هذه المحبة ؛ لأنهم كانوا « ينهشون ويأكلون بعضهم بعضاً » ، فكانوا في خطر أن « يفتنوا بعضهم بعضاً » ( غل ٥ : ١٥ ) . والصورة هنا للحيوانات المفترسة التي تهاجم بعضها البعض ، وهذا في حد ذاته برهان على أن



الناموس لا يستطيع أن يفرض على الناس الوثام معاً . ومهما كانت النظم والمقاييس التي تتبناها أية كنيسة فهذا لا يضمن روحانيتها ، وما لم نسمح لروح الله أن يملأ القلوب بمحبته فإن الأتانية وروح التنافس سيسودان على الحياة . ولقد تواجد في كنيسة غلاطية المتطرفون من الناموسيين وأيضاً من المتحررين ، وكلاهما كانا يفسدان الشركة .

إن الروح القدس لا يعمل من فراغ ، لكنه يستخدم كلمة الله والصلاة والعبادة وشركة المؤمنين لبنياننا في المسيح . والمؤمن الذي يصرف وقتاً يومياً مع كلمة الله والصلاة والصوم ، والذي يخضع لعمل الروح القدس هو الذي يتمتع بالحرية ، ويساعد في بنیان الكنيسة . اقرأ ( ٢ كو ٣ ) لكي تعرف الفرق بين خدمة النعمة الروحية وخدمة الناموس الجسدية .

## ثانياً : الروح القدس يمكننا من أن نغلب الجسد ( غل ٥ : ١٦ - ٢١ و ٢٤ )

(١١) الصراع (ع ١٦ و ١٧) : كما أن إسحق وإسماعيل لم يتفقا ، كذلك الروح والجسد ( الطبيعة القديمة ) هما في حرب معاً . وبالطبع لا يقصد الرسول بكلمة « الجسد » هنا جسم الإنسان ؛ لأن جسم الإنسان ليس خاطئاً في حد ذاته ، وإلا لما أخذ المسيح جسداً . لكن متى سيطر الروح على الجسد فإننا سنسلك بالروح ، ومتى سيطر الجسد على جسم الإنسان فإنه سوف يسلك في شهوات ( رغبات ) الجسد . ولأن لكل من الروح والجسد شهية مختلفة عن الآخر فمن هنا ينشأ الصراع .

هاتان الشهيستان المختلفتان قد ظهرتنا في الكتاب المقدس بطرق مختلفة ، على سبيل المثال : فإن الخروف حيوان نظيف ، ويتجنب دائماً « الزبالة » ، بينما الخنزير الذي هو حيوان نجس يستمتع بالوحل والقذارة ( ٢ بط ٢ : ١٩ - ٢٢ ) . وقديماً بعد أن توقف الطوفان ، واستقر الفلك أطلق نوح غراباً - وهو طائر يأكل الجيف - لم يعد ( تك ٨ : ٦ و ٧ ) ؛ ذلك لأنه وجد الكثير مما يمكن أن يأكله . أما عندما أطلق الحمامة ( وهي طائر طاهر ) عادت ثانية ( تك ٨ : ٨ - ١٢ ) . لكن لما أطلقها للمرة الأخيرة ولم تعد إليه عرف أنها قد وجدت لنفسها مكاناً نظيفاً تقف عليه .. بمعنى أن المياه قد انحسرت .

إن طبيعتنا القديمة هي مثل الخنزير أو الغراب ، تبحث دائماً عن شيء غير نظيف حتى تتغذى عليه . أما طبيعتنا الجديدة فهي مثل الخروف أو الحمامة تتوق إلى كل ما هو نظيف ومقدس ، لذلك فلا عجب من الصراع القائم في حياة المؤمن ! أما غير المؤمن فلا يعلم شيئاً عن هذه المعركة لأنه ليس له الروح القدس ( رو ٨ : ٩ ) .

ولنلاحظ أن المؤمن لا يستطيع أن يرغب فقط في النصر على الجسد : « هذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » ( غل ٥ : ١٧ ) .. أي لا تفعلون ما يُسر الجسد ، وتلك هي المشكلة التي عالجها الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية : « لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فأياه أفعل ... لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فأياه أفعل » ( رو ٧ : ١٥ و ١٩ ) . وهنا لا ينكر الرسول أن هناك نصرة ، لكنه يُشير فقط إلى أنه لا يمكن أن ننتصر بقوتنا الذاتية أو بإرادتنا .

(٢) الخضوع (ع ١٨) : إن الحل لا يكمن في تحريض إرادتنا ضد الجسد ، بل في إخضاع إرادتنا للروح القدس . ويمكن ترجمة هذا العدد حرفياً هكذا : « إن كنتم ترغبتم تنقادون بالروح فإذاً لستم بعد تحت الناموس » . إن الروح القدس هو الذي يكتب الناموس على قلوبنا ( عب ١٠ : ١٤ - ١٧ : ٢ ) . وهكذا نرغب في طاعته بمحبة .. كما قال المرنم : « أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت ، وشريعتك في وسط أحشائي » ( مز ٤٠ : ٨ ) . وهكذا يكون « الانقياد بالروح » و « السلوك بالروح » هما ضد الخضوع لشهوات الجسد .

(٣) الصلب (ع ١٩ - ٢١ و ٢٤) : يسرد الرسول هنا بعض أعمال الجسد القبيحة ( وهناك قائمة مشابهة في مرقس ٧ : ٢٠ - ٢٣ ؛ رو ١ : ٢٩ - ٣٢ ؛ ١ تي ١ : ٩ و ١٠ ؛ ٢ تي ٣ : ٢ - ٥ ) . الجسد يستطيع أن يصنع الخطية ، لكنه لا ينتج بر الله على الإطلاق ؛ لأن « القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس » ( إر ١٧ : ٩ ) ، ويمكن تقسيم هذه القائمة إلى ثلاث مجموعات رئيسية :

المجموعة الأولى .. خطايا حسية ( ع ١٩ و ٢١ ب ) : الزنى هو أن يمارس شخص متزوج الجنس مع شخص متزوج آخر غير شريك ( شريكة ) حياته . أما العهارة ( الفسق ) فهو يُشير بصفة عامة إلى الخطية ذاتها ، ولكن وسط غير متزوجين . والنجاسة تعني كل ما يدنس القلب والفكر مما يجعل الشخص دنساً ،

ويرى كل الأشياء دنسة ( تي ١ : ١٥ ) . والدعارة ( الفجور ) هي الانغماس في المذات الحسية بشهية جامحة لا تخجل . ويمكن القول أن هذه الخطايا كانت سائدة في الإمبراطورية الرومانية . أما السكر والبَطَر ( العريضة ) فلا تحتاج لشرح .

المجموعة الثانية .. خطايا شعوذة وخرافات ( ع ١٢٠ ) : إن عبادة الأوثان - مثل الخطايا السابق ذكرها - لا تزال موجودة حتى هذه الأيام . وهي ببساطة تعني وضع الأشياء في المقدمة قبل الله والناس . فحتى إن كان علينا أن نعبد الله ونحب الناس ونستخدم الأشياء ، إلا أننا غالباً ما نستخدم الناس ونحب ذواتنا ونعبد الأشياء .. مُبْعِدِينَ الله تماماً عن المشهد ! ويخبرنا الرب يسوع أننا نخدم مَنْ نعبده ( مت ٤ : ١٠ ) . فالْمُؤْمِنُ الذي يكرس كثيراً من ذاته لسيارته أو بيته أو تجارته أكثر مما يفعل لخدمة المسيح ، قد يكون في خطر عبادة الأوثان ( كو ٣ : ٥ ) .

وكلمة « سحر » مشتقة من الكلمة اليونانية « فارماكيا » التي تعني « الصيدلة » أي استعمال العقاقير . وقد كان السحرة في أيام الرسول بولس يستخدمون العقاقير في ممارسة أعمالهم الشريرة ، وبالطبع ينهانا الكتاب المقدس عن السحر وعن كل الأنشطة الأخرى المختصة به ( تث ١٨ : ٩ - ٢٢ ) .

المجموعة الثالثة .. خطايا اجتماعية ( ع ٢٠ و ١٢١ ) : « عداوة » .. بمعنى « كراهية » ، وهي الموقف العقلي الذي يتحدى ويثير الآخرين ، ويؤدي ذلك إلى الخصام والنزاع ، الذي يُنتِج أخيراً عداوة . أما « الغيرة » فهي التنافس والتطاحن ، ومن المؤسف جداً أنه عندما يتنافس المؤمنون مع بعضهم البعض يحاول كل منهم أن يُظهر الآخر في موقف سيئ أمام الآخرين .

« السخط » يعني انفجار الغضب ، و « التحزب » يحمل معه فكرة التفكير في الذات والسعي وراء طموح النفس ؛ مما قد يخلق انقسامات في الكنيسة .

« بدعة » في أصلها اليوناني تعني « صنع الاختيار » ، وهي ما يحدث عندما يُصر قادة الكنيسة على أن يتبعهم الناس بدلاً من اتباعهم للمسيح . أما « الحسد » فيحمل معنى التذمر ، والرغبة العميقة في الحصول على ما يمتلكه الآخرون ( راجع أم ١٤ : ٣٠ ) . أما بقية القائمة قتل .. سكر .. بطر فلا تحتاج إلى إيضاح .

إن الشخص الذي يمارس مثل هذه الخطايا لا يرث ملكوت الله . وهنا يتحدث الرسول عن « عادة » فعل هذه الخطايا ، وليس عن الخطايا في حد ذاتها . وهناك تعليم باطل عن تأكيد الخلاص غير المبني على كلمة الله ، وحقيقة أن المؤمن ليس تحت الناموس بل تحت النعمة لا تعني أبداً تبريراً للخطية ( رو ٦ : ١٥ ) ، ولكنها التشجيع للحياة في طاعة الرب .

لكن كيف يستطيع المؤمن أن يضبط هذه الطبيعة القديمة إذا كانت قادرة على إتيان مثل هذه الخطايا المرعبة ؟ إن الناموس لا يستطيع أن يغير أو يسيطر على الطبيعة القديمة ؛ لذلك يجب أن تصلب ( ع ٢٤ ) . ويشرح الرسول بولس أن المؤمن يتحد بالمسيح في موته ودفنه وقيامته ( رو ٦ ) ؛ فالمسيح لم يميت فقط من أجلي ولكني أنا مت معه أيضاً ، فهو قد مات من أجلي لكي يرفع عني قصاص خطايي ، وأنا مت معه لكي أحطم قوتها .

لقد ذكر الرسول ذلك من قبل ( انظر غل ٢ : ١٩ و ٢٠ ) ، وها هو يكررها في ( غل ٦ : ١٤ ) . وهو لا يقول لنا أن نصلب أنفسنا - لأن ذلك مستحيل ؛ ( فالصلب هو نوع من الموت لا يستطيع الإنسان أن يفعله مع نفسه ) . لكنه يقول لنا أن الجسد قد صُلب فعلاً ، ومسئوليتنا أن نؤمن بذلك ونتصرف بناء عليه ( يقول الرسول في رو ٦ : ١١ « احسبوا أنفسكم أمواتاً » ، ونفس هذا الحق نجده في كو ٣ : ٥ وما بعدها ) .

إننا جميعاً لسنا مدينين للجسد بل للروح القدس ( رو ٨ : ١٢ - ١٤ ) ، وعلينا أن نقبل ما يقوله الله عن الطبيعة القديمة دون أن نحاول أن نصنع منها شيئاً مختلفاً ، فلا يجب أن « نصنع تدبيراً للجسد » ( رو ١٣ : ١٤ ) وذلك بتغذيته بما يتمتع به . إن الجسد لا يسكن فيه شيء صالح ( رو ٧ : ١٨ ) ، وبالتالي فلا ينبغي أن نضع ثقتنا فيه ( في ٣ : ٣ ) . كما أن الجسد ليس خاضعاً لناموس الله ( رو ٨ : ٧ ) ، ولا يستطيع أن يُرضي الله ( رو ٨ : ٨ ) . ولكن بالروح القدس فقط نستطيع أن « نميت أعمال الجسد » التي تعمل فينا ( رو ٨ : ١٣ ) . فالروح القدس ليس فقط روح الحياة ( رو ٨ : ٢ ) ، غل ٥ : ٢٥ ) ، لكنه أيضاً روح الموت الذي يعيننا لكي نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية .

وهكذا قد رأينا خدمتين للروح القدس : فهو يمكننا من إتمام ناموس المحبة ، كما يمكننا من التغلب على الجسد .. لكن الروح القدس يقدم لنا خدمة ثالثة .

## ثالثاً : الروح يمكننا من أن ننتج ثماراً

( غل ٥ : ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ )

إن التغلب على الجسد وعدم فعل الشرور شيء ، وأن تعمل أموراً صالحة شيء آخر . فالشخص الناموسي قد يفتخر بأنه لم يرتكب الزنا أو القتل ( مت ٥ : ٢١ - ٣٢ ) ، لكن هل يمكن أن نرى فضائل الروح في حياته ؟ إن الصلاح السلبي ليس كافياً في الحياة ، فلا بد من وجود صفات إيجابية أيضاً .

إن التفرقة بين الأعمال والثمر أمر هام . فالآلة في المصنع « تعمل » وتخرج إنتاجاً لكنها لا تستطيع أن تصنع ثمرًا ! فالثمر يأتي من الحياة ، وفي حالة المؤمن فإن حياته هي من الروح القدس ( غل ٥ : ٢٥ ) . إذا فكرت في « الأعمال » فإنك تفكر في مجهود وتعب ومشقة ، وإذا فكرت في « الثمر » فإنك تفكر في الجمال والهدوء وبساطة الحياة . إن الجسد ينتج « أعمالاً ميتة » ( عب ٩ : ١٤ ) ، أما الروح فينتج ثمرًا حيًا ، وهذا الثمر يحمل في ذاته بذارًا للإتيان ٨٠١ إلى عدعاسيد حرقلاو لرتكأ تبحم ملتقبلحا . ( ١١ : ١ مكت ( رثكأ رمثبرح أكثر ! وقد اهتم الرب يسوع بأن يكون لنا ثمر ، وثمر أكثر ( يو ١٥ : ٢ و ٥ ) ؛ لأن تلك هي الطريقة التي نجد الله بها . إن الطبيعة القديمة لا تنتج ثمرًا .. بخلاف الطبيعة الجديدة .

يحدثنا العهد الجديد عن أنواع مختلفة من « الثمر » ، مثل : الناس الذين يُربحون للمسيح ( رو ١ : ١٣ ) ، والحياة المقدسة ( رو ٦ : ٢٢ ) ، والتقدمات لله ( رو ١٥ : ٢٦ - ٢٨ ) ، والأعمال الصالحة ( كو ١ : ١٠ ) ، والتسبيح ( عب ١٣ : ١٥ ) . وقائمة « ثمر الروح » الموجودة هنا تتصل بالصفات الشخصية ( غل ٥ : ٢٢ و ٢٣ ) . ويجب أن نميز بين عطية الروح التي هي الخلاص ( أع ٢ : ٣٨ : ١١ : ١٧ ) ، وبين مواهب الروح التي تتصل بالخدمة ( ١ كو ١٢ ) ، وبين نعم الروح التي تتصل بشخصية المؤمن . ومن المؤسف أن التشديد على مواهب الروح قاد الكثيرين إلى إهمال نعم الروح ، بينما يجب أن يكون بنیان شخصية المؤمن سابقاً لأية إمكانيات خاصة به .

إن الصفات التي يريدها الله في حياتنا نراها في قائمة ثمر الروح ، والتي يبدأها الرسول بالمحبة لأن بقية الثمر تنبع منها ، ويمكن مقارنة باقي الثمر مع صفات المحبة كما ذكرها الرسول نفسه إلى أهل كورنثوس ( ١ كو ١٣ : ٤ - ٨ ) . وكلمة المحبة هنا جاءت في اللغة الأصلية « أجابي » ، والتي تعني « المحبة

الإلهية » ( أما الكلمة اليونانية « أيروس » فتعني « المحبة الحسية » ، ولم تستعمل قط في العهد الجديد ) . هذه المحبة الإلهية هي عطية الله لنا ( رو ٥ : ٥ ) ، ويجب أن نزرعها في حياتنا ، ونصلي حتى تزداد ( في ١ : ٩ ) .

عندما يعيش الفرد في دائرة المحبة فإنه يختبر الفرح .. أي السلام الداخلي والاكتفاء ، اللذين لا يتأثران بالظروف الخارجية ( مثل اختبار الرسول بولس المسجل في رسالته إلى فيليبي ٤ : ١٠ - ٢٠ ) . وقد كانت تلك « النزعة المشرقة المقدسة » لدى الرسول بولس دافعاً مشجعاً له بالرغم من الصعاب . ثم أن المحبة والفرح ينتجان معاً السلام ، « سلام الله الذي يفوق كل عقل » ( في ٤ : ٧ ) ، والصفات الثلاث الأولى هذه تمثل الجانب الإلهي في الحياة المسيحية .

وتمثل الصفات الثلاث التالية الجانب الإنساني في الحياة المسيحية ، وهي : « طول أناة » ( التحمل الشجاع دون هروب ) ، « لطف » .. أي وداعة وكياسة ، ثم « صلاح » .. أي المحبة العاملة . فالمؤمن الذي يتمتع بطول الأناة لا يثأر لنفسه ، ولا يتمنى المصاعب لمن يخالفه الرأي . فهو يبقى لطيفاً وشفوفاً حتى بالرغم من إساءة المعارضين ، ويستمر يزرع الصلاح حيث يزرع الآخرون الشر . ولا يمكن أن تقوم الطبيعة البشرية بذلك من ذاتها ، لكن الروح القدس وحده هو الذي يستطيع .

أما الصفات الثلاث الأخيرة فهي شخصية : « الإيمان » .. أي الإخلاص والاتكال ، ثم « وداعة » .. أي الاستعمال الصحيح للقوة والسلطة ، أو القوة الشخصية تحت السيطرة ، ثم « تعفف » .. أي ضبط النفس .

إن الوداعة ليست ضعفاً ، فقد قال الرب يسوع : « إني وديع ومتواضع القلب » ( مت ١١ : ٢٩ ) . كما كان موسى « حليماً جداً » ( سفر العدد ١٢ : ٣ ) .. أي وديعاً ؛ ولم يتهمهما أحد بأنهما ضعيفان . وكما أن الحكمة هي الاستعمال الصحيح للمعرفة ، فكذلك الوداعة هي الاستعمال السليم للسلطة والقوة .

ومن الممكن أن الطبيعة القديمة تُزيف بعضاً من ثمار الروح ، لكن الجسد لا يمكن أن يُنتج ثمر الروح . ومن بين الفروق أنه عندما يُنتج الروح ثمرًا فإن الله يتمجد ولا يستشعر المؤمن روحانيته . ولكن عندما يعمل الجسد يشعر الشخص في داخله بالكبرياء الذاتي ، ويسعد من إطراء الآخرين له . إن عمل الروح هو أن يجعلنا مشابهين للمسيح ، ونعيش لمجده ، وليس لإرضاء الناس .

لابد أن نرعى الثمر ونهتم بوجوده في حياتنا ، لذلك يشدد الرسول على وجود جو صالح يحيط بنا يساعد على إنماء الثمر ( غل ٥ : ٢٥ و ٢٦ ) . وتاماً كما أن الثمر لا ينمو في أي مناخ ، كذلك لا يمكن لثمر الروح أن ينمو في حياة أي فرد أو أية كنيسة .

إن الثمر ينمو في مناخ مبارك بحضور حي للروح والكلمة ، والقول « فلنسلك بحسب الروح » ( غل ٥ : ٢٥ ) يعني أن تتبع الروح خطوة بخطوة ؛ فلا تحاول أن تسبقه ولا تتخلف عنه أيضاً . ويتضمن هذا دراسة الكلمة المقدسة ، والصلاة ، والعبادة ، والتسبيح والشركة مع شعب الله . كما تعني أيضاً نزع الأعشاب والأشواك حتى تنمو للبذار جذوراً ، ومن ثم تأتي بثمر . لقد كان المتهودون يسعون للحصول على المديح والمجد الزائل وقادهم ذلك إلى المنافسة والانقسام ، وفي مثل ذلك الجو لا يمكن أن ينمو الثمر .

ولعلنا نذكر أن الثمر يُنتج لكي يؤكل ، وليس لمجرد النظر إليه أو التفاخر به . إن الناس من حولنا جائعون للمحبة والفرح والسلام ، وكل الهبات الأخرى للروح القدس ، وعندما يجدون هذه الأمور في حياتنا يدركون أننا نملك شيئاً يفتقدون هم إليه . نحن لا نحمل الثمر لاستهلاكنا الشخصي ، لكنه لإطعام الآخرين ومساعدتهم حتى يتمجد الله . ثم إن الجسد قد يصنع « نتائج » تؤدي إلى مدحنا ، لكنه لا يستطيع أن يحمل ثمرًا يؤدي إلى مجد الله .

إن الأمر يحتاج إلى صبر وإلى حضور الروح القدس في الحياة ، وإلى السلوك في النور ، وإلى بذرة كلمة الله ، وإلى الرغبة الصادقة في إكرام الرب . باختصار نقول إن السر هو الروح القدس ، فهو وحده الذي يعطينا تلك « الحرية الخامسة » .. أي الحرية من الخطية ومن الذات ، ويمكننا من إتمام ناموس المحبة ؛ حتى نتمكن من التغلب على الجسد ، ومن ثم تأتي بثمر .  
فهل تخضع له حتى يعمل فيك ؟!

## حرية المحبة

غلاطية ٦ : ١ - ١٠

إننا نسمع كثيراً عن قصة الرسالة التي بعث بها مؤسس جيش الخلاص الجنرال « وليم بوث » إلى أحد المؤتمرات العالمية ، والذي تغيب عنه بسبب مرضه فأرسل إلى المؤتمرين كلمة واحدة ألا وهي : « الآخرون ! »

في إحدى القصص الأدبية المشهورة سألت البطلة البطل : " لماذا نوجد نحن على الأرض ؟ " فأجابها : " لكي تُسعد الآخرين ! " فسأله بعد تأمل قليل : " ولماذا يوجد الآخرون إذن ؟ "

إن الآخرين لهم اعتبار هام في مفردات الحياة المسيحية ، وقد تكررت هذه العبارة « بعضكم بعضاً » حوالي اثنتي عشرة مرة في العهد الجديد ، وكذلك العبارات « صلوا بعضكم لأجل بعض » ( يع ٥ : ١٦ ) ، و « ابنوا أحداكم الآخر » ( ١ تس ٥ : ١١ ) ، و « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة » ( رو ١٢ : ١٠ ) ، « كونوا مضيئين بعضكم بعضاً » ( ١ بط ٤ : ٩ ) ، وهناك الكثير من هذه النصائح . ويضيف الرسول في هذا الجزء قوله : « احملوا بعضكم أثقال بعض » ( غل ٦ : ٢ ) . فالمسيحي الذي ينقاد بالروح يفكر دائماً في كيفية خدمة الآخرين . وفي هذا الجزء من الرسالة يشرح الرسول عن خدمتين هامتين يجب أن نشارك بعضنا البعض فيهما :

### أولاً : حمل الأثقال

( غل ٦ : ١ - ٥ )

إن الناموسي لا يهتم بحمل الأثقال . بل على العكس ، فهو يضيف إلى أثقال



الآخرين ( أع ١٥ : ١٠ ) . وكان ذلك أحد خطايا الفريسيين في أيام الرب يسوع ، « فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » ( مت ٢٣ : ٤ ) . فالناموسي دائماً صارم وقاس على الآخرين أكثر مما على نفسه ، وأما المنقاد بالروح فهو يطلب من نفسه أكثر مما يطلب من الآخرين ؛ وذلك لكي يساعدهم .

ثم يقدم الرسول حالة افتراضية لمؤمن سقط فجأة في خطية ، والكلمة « انسبق » تحمل معنى الدهشة ؛ فهي إذاً ليست حالة عصيان متعمد . ولكن لماذا استخدم الرسول هذا المثال ؟ لأنه لا توجد طريقة توضح بصورة أفضل مقدار شر الناموس أكثر من طريقة تعامله مع الخاطئ .. ولعلنا نذكر الفريسيين الذين أتوا بالمرأة التي أمسكت في ذات الفعل إلى الرب يسوع ( يو ٨ ) ، أو أولئك الغوغاء من اليهود الذين كادوا يقتلون الرسول بولس نفسه ، لأنهم ظنوا أنه يدنس الهيكل بإحضار الأممين إليه ( أع ٢١ : ٢٧ وما بعدها ) . وكأن الناموسيين لا يحتاجون إلى حقائق أو إثباتات ، بل يحتاجون فقط إلى شك وإشاعات ، وتقوم خيالاتهم حول برهم الذاتي بالعمل الباقي . لذلك يتناول الرسول في هذا الجزء الاختلاف بين تعامل الناموسي مع الأخ الذي يخطئ ، وبين تعامل الروحي معه .

**(١١) الاختلاف في الهدف :** فالروحي يسعى أن يصلح أخاه المخطئ في محبة ، بينما يسعى الناموسي إلى الإيقاع به . والكلمة « أصلحوا » تعني الاستعادة بعد الإصلاح ، مثلما يحدث مع الشبكة الممزقة أو العظم المكسور . ولو كنت قد اختبرت مرة كسراً لأحد عظامك ، فستعرف مقدار الألم الذي يصاحب إرجاع العظمة المكسورة لوضعها الطبيعي قبل وضع الجبيرة عليها .

هكذا فإن المنقاد بالروح ، الذي يعيش في حرية النعمة يسعى لمعونة الأخ المخطئ ؛ لأن « ثمر الروح هو محبة » ( غل ٥ : ٢٢ ) .. « وبالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً » ( غل ٥ : ١٣ ) . وكما كان الرب يسوع محل انتقاد الفريسيين لأنه كان طبيباً للخطاة ( مر ٢ : ١٣ - ١٧ ) ، هكذا ينتقد الناموسيون اليوم الشخص الروحي .

إن الناموسي لا يحاول إصلاح الأخ المخطئ بل يدينه ، ثم يستخدمه كوسيلة لكي يظهر بها صلاح نفسه . وهذا بالضبط ما فعله الفريسي في مثل الفريسي والعشار ( لو ١٨ : ٩ - ١٤ ) . أما الرسول بطرس فيقول إن « المحبة تستر كثرة من الخطايا » ( ١ بط ٤ : ٨ ) . إن الناموسي يفرح عندما يخطئ أحد

الأخوة ، وعادة ما ينشر الخبر ؛ حيث يستطيع أن يتباهى بصلاحه ، وبمدى بر المجموعة التي ينتمي إليها !

لذلك يحذرنا الرسول بولس هكذا : « لا نكون معجبين نغاضب بعضنا بعضاً ، ونحسد بعضنا بعضاً » ( غل ٥ : ٢٦ ) . وكلمة « نغاضب » هنا تعني التحدي والمنافسة . والمسيحي السالك بالروح لا يتنافس مع المسيحيين الآخرين أو يتحداهم حتى يصيروا صالحين نظيره ! على أية حال فإن الناموسي يحاول دائماً أن يظهر صلاحه بأن يجعل مظهر الآخرين سيئاً .

## (٢) الاختلاف في الموقف الداخلي : المؤمن المقاد بالروح يتعامل مع المشكلة

بروح الوداعة والحب . بينما يكون موقف الناموسي هو الكبرياء والإدانة ، لأنه ليس بحاجة إلى « النظر إلى نفسه » ، حيث أنه يدعي بعدم إمكان سقوطه في تلك الخطية . أما المؤمن الذي يعيش بالنعمة فهو يدرك أنه لا يوجد مَنْ لا يخطئ ، « إذاً مَنْ يظن أنه قائم فليُنظر أن لا يسقط » ( ١ كو ١٠ : ١٢ ) ، ولذلك يكون موقفه هو موقف التواضع لأنه يدرك ضعفه الشخصي .

ليس ذلك فحسب ، بل إنه يدرك كذلك محبة المسيح في قلبه ، فناموس المسيح هو « أن تحبوا بعضكم بعضاً » ( يو ١٣ : ٣٤ : ١٥ : ١٢ ) . وقد ناقش الرسول ناموس المحبة ( غل ٥ : ١٣ - ١٥ ) ، والآن يريد أن يطبقه عملياً . إن المحبة العطوفة التي تهتم بالآخر ليست اختراعاً حديثاً ؛ لأن الرسول بولس يطالب المؤمنين بالاحاح أن يسلكوا بها في هذا الفصل . إننا نقدر كثيراً الطبيب الذي يستخدم معنا الرفق والشفقة عندما يرجع عظمة مكسورة في جسدنا إلى موضعها الصحيح . فكم بالأكثر يجب أن نستعمل العناية المحبة والرفيقة عندما نسعى لإصلاح حياة مكسورة .

لعل الاقتراب إلى أخ مخطئ يتطلب قدراً كبيراً من المحبة والشجاعة لمساعدته . وقد قارن الرب يسوع ذلك العمل بجراحة العيون ( مت ٧ : ١ - ٥ ) ، تُرى كم واحد منا مؤهل لذلك العمل ؟

وربما كان الرسول بولس يحمل في ذهنه تعليمات الرب يسوع عن المصالحة ( مت ١٨ : ١٥ - ٣٥ ) . فإذا أخطأ إليك أخوك فاذهب وتكلم معه على انفراد ، لا بقصد أن تكسب النقاش ، بل بقصد أن تربحه هو كآخ ( والفعل « يربح » قد استخدمه الرسول في ١ كو ٩ : ١٩ - ٢٢ ، مشيراً إلى ربح الهالكين للمسيح ،

فإذا كان مهماً أن نربح الهالكين ، فمن المهم أيضاً أن نربح المؤمنين ) . فإن سمع لك فقد حُلَّت المشكلة ، وإن لم يسمع فاطلب شخصاً ، أو أكثر من الروحانيين لكي يذهبوا معك . فإذا لم تُحل المشكلة فيجب أن تعرف الكنيسة كلها بالأمر وتتخذ إجراءاتها ، ولكن الرب يسوع أشار إلى أهمية أن تصلي الكنيسة في هذه الحالة ( مت ١٨ : ١٩ و ٢٠ ) ، وكذلك الغفران ( مت ١٨ : ٢١ - ٣٥ ) ، وإلا فلن يكون هناك تأثير لتأديب الكنيسة .

بالطبع لا يجد الناموسي وقتاً لمثل هذه النوعية من طرق ربح النفوس . فهو عندما يسمع بأن أخاه قد أخطأ نجده يشيع الأخبار بين الآخرين ( بدعوى أن يصلوا بأكثر لاجرة من أجله ! ) بدلاً من التوجه إليه ليلومه لأنه ليس روحياً .

وتحذيرات الرسول واضحة هنا ( غل ٦ : ٣ و ٤ ) ، ذلك لأن الناموسي يحاول أن يظهر نفسه دائماً بأنه الأفضل وذلك بإظهار غيره أسوأ . وقد كان المتهودون مذنبين بسبب افتخارهم بذواتهم ، وبإنجازاتهم ، وبالتابعين لهم ( غل ٦ : ١٢ - ١٤ ) . كما كانوا يفعلون ذلك بمقارنة أنفسهم بالآخرين ( انظر ٢ كو ١٠ : ١١ ) . إلا أن تلك المقارنات كانت خاطئة وخادعة . فمن السهل أن نرى شخصاً أسوأ حالاً منا وبالتالي عندما نقارن أنفسنا به نبدو وكأننا أفضل مما نحن عليه واقعياً . لكن المحبة المسيحية لا تقودنا إلى كشف سقطات الآخر أو ضعفاته ، حتى لو كان ذلك يظهرنا بمظهر أفضل .

« ولكن ليمتحن كل واحد عمله » ( غل ٦ : ٤ ) في ضوء إرادة الله ، وليس في ظلال إنجازات الآخرين . وعلى كل فرد أن يختبر أعماله الخاصة ، وبذلك يكون له فخر في ذاته دون أن يقارن نفسه بآخر ، لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه ( غل ٦ : ٤ و ٥ ) . لا يوجد مكان للمنافسة في عمل الله إلا إذا كنا نتسابق ضد الشيطان والخطية ، ولعلنا نسأل أنفسنا باستمرار من الذي سوف يعود إليه المجد حين نسمع كلمات مثل : الأفضل .. الأسرع نمواً .. الأكبر .. الأكثر تأثيراً ، عندما تقال لوصف خدمات مسيحية .

هذا لا يعني أنه من الخطأ أن تُسجل خدماتنا ، فقد قال تشارلس سبرجن : ” إن الذين ينتقدون الإحصائيات ليس لديهم ما يسجلونه ! “ ولكن لابد أن نحذر من أن نظهر الآخرين في صورة سيئة حتى تبدو صورتنا نحن طيبة .. كما يجب أن نفرح ببركات الآخرين وإنجازاتهم كما لو كانت لنا نحن ( رو ١٢ : ١٠ ) ، فعندما يتبارك عضو في الجسد فإن الجسد كله يتبارك معه .

لا يوجد تعارض بين عددي ٢ و ٥ ؛ لأن كلمة « حمل » في اللغة اليونانية تأتي بمعنيين . في ( غل ٦ : ٢ ) تعني الكلمة « الحمل الثقيل » ، بينما في ( غل ٦ : ٥ ) الكلمة تصف « صُرة الجندي » ( المخلة ) . فهكذا ينبغي أن تساعد بعضنا البعض في حمل أثقال الحياة الجسمية ؛ غير أن هناك مسؤوليات شخصية يجب أن يحملها كل شخص بمفرده ؛ لأن كل جندي يجب أن يحمل صُورته الخاصة به . فإذا تعطلت سيارتي قد يساعدني جاري بأن يوصل أولادي إلى المدرسة ، لكنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤوليتي كأب لهم ، ومن الخطأ إذا كنت أنتظر أن شخصاً آخر يأخذ مسؤولية الأب عوضاً عني في عائلتي ، بل يبقى ذلك هو حملي ( وفي نفس الوقت امتيازي ) الذي يجب أن أحمله .

## ثانياً : مشاركة الخيرات

( غل ٦ : ٦ - ١٠ )

كانت جملة « بعضكم بعضاً » هي الجملة المحورية في المفردات المسيحية ، وهكذا تأتي كلمة « شركة » ، وقد تُرجمت « يشارك » في ( غل ٦ : ٦ ) كمفتاح للحديث في هذا الجزء . فقد كانت المشاركة هي إحدى علامات الاختبار المسيحي في بداية الكنيسة الأولى ( أع ٢ : ٤١ - ٤٧ ) ، وهي تشير كذلك إلى شركتنا نحن في المسيح ( غل ٢ : ٩ ) ، وشركة الإيمان ( يهوذا ٣ ) ، ويصل الأمر إلى شركة آلامنا في المسيح ( في ٣ : ١٠ ) . إلا أن الكلمة في أصلها اليوناني « كونونيا » تعني عادة في العهد الجديد المشاركة في الخيرات المادية مع بعضنا البعض ( أع ٢ : ٤٢ ؛ ٢ كو ٨ : ٤ ؛ عب ١٣ : ١٦ ) ، وهذا ما قصده الرسول هنا .

لقد بدأ الرسول بمبدأ روحي ( غل ٦ : ٦ ) يحثنا فيه لمشاركة بعضنا البعض . فمعلم الكلمة يشارك بالكنوز الروحية ، والذين يتعلمون يجب أن يشاركوا بالكنوز المادية . ( استخدم الرسول شيئاً مماثلاً عندما شرح ضرورة اشتراك كنائس الأمم في التقدمة للمؤمنين اليهود - رو ١٥ : ٢٧ ) . ولعلنا نتذكر أن ما نفعله بالأشياء المادية إنما يعبر عن مقدار تقديرنا للأمور الروحية ؛ « لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » ( مت ٦ : ٢١ ) .

كان الرسول بولس يعمل بيديه ليمول نفسه مادياً ؛ لأنه لم يشأ أن يكون المال - على أية - عائقاً أمام غير المخلصين ، إلا أنه كان يعلم باستمرار بأن

القائد الروحي في الكنيسة لابد وأن يتم تعضيده مالياً بواسطة عطايا الشعب ، وقال الرب يسوع : « الفاعل مستحق أجرته » ( لو ١٠ : ٧ ) ، وكرر الرسول ذلك القول ( في ١ كورنثوس ٩ : ١١ و ١٤ ) .

لكن لابد أن ندرك المعنى وراء هذا المبدأ الروحي ، فالله لا يأمر المؤمنين أن يعطوا لمجرد أن يجد الرعاية والمعلمون احتياجاتهم ( في ٤ : ١٠ - ١٩ ) ، بل ليجد أيضاً الذين يعطون بركات أعظم ( غل ٦ : ٧ و ٨ ) . نحن نجد مبدأ الزرع والحصاد في كل الكتاب المقدس ، وقد قال الرب إننا نحصد ما نزرع ، وبدون هذا القانون يسقط مبدأ « السبب والنتيجة » . إن المزارع الذي يزرع حنطة يتوقع أن يحصد حنطة ، وما لم يكن الأمر كذلك فإن العالم كله تسوده الفوضى ! غير أن الله قد أوصانا بأن نهتم بالمكان الذي نزرع فيه ، وهذا هو المبدأ الذي يتعامل معه الرسول هنا . فإن الله ينظر للممتلكات المادية كبذرة ، كما يرى نوعين من التربة هما الجسد والروح . نحن يمكننا أن نستخدم ما لنا من ممتلكات مادية لصالح الجسد أو لتقدم الأمور الروحية ، ولكن ما أن ننتهي من الزرع فإننا لا نستطيع أن نغير الحصاد .

إن المال الذي يُزرع للجسد سوف يأتي بحصاد فاسد ( غل ٥ : ١٩ - ٢١ ) ، ومتى ذهب ذلك المال لا يمكن استعاضته . أما المال المزروع للروح ( مثل مشاركة معلمين الكلمة ) فإنه يُنتج حياة ، وسوف نجد في ذلك الحصاد بذوراً يمكن زرعها مرة أخرى لحصاد آخر ، وهكذا إلى أن يرجع الرب ثانية . وإذا نظر كل مؤمن إلى ثروته وكأنها بذار ، ومن ثم يزرعها بالطريقة المناسبة ، فلن يكون هناك عجز مادي في عمل الله . ولكن للأسف هناك بذار كثيرة قد ضاعت في أمور جسدية لا يمكن أن تمجد الله أبداً .

وبالطبع هناك مجال أوسع لتطبيق هذا المبدأ على حياتنا ؛ لأن كل ما نفعله هو استثمار : إما للجسد أو للروح ، ونحن لابد أن نحصد ما قد زرنا ، وبنفس النسبة أيضاً .. كما يقول « مَنْ يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ، وَمَنْ يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد » ( ٢ كو ٩ : ٦ ) . إن المؤمن الذي يسلك في الروح ويزرع في الروح سوف يحصد حصداً روحياً ، وإذا كان زرعه وافراً فسوف يكون حصاده وفيراً ، وإن لم يكن في هذه الحياة فبال تأكيد في الحياة الآتية .

لم يكن لأعداء الرسول بولس - المتهودين - مثل ذلك الموقف الروحي تجاه العطاء والأخذ . وقد ضحى الرسول بولس واشتغل بنفسه حتى لا يكون ثقلًا على الكنائس ، أما المعلمون الكذبة فقد استغلوا الكنائس لتعضيد برامجهم الخاصة ، وللملء خزانهم ! وقد حدث ذلك في كنيسة كورنثوس ، فكتب إليهم الرسول قائلاً : « لأنكم تحتملون إن كان أحد يستعبدكم . إن كان أحد يأكلكم . إن كان أحد يأخذكم . إن كان أحد يرتفع ، إن كان أحد يضربكم على وجوهكم » ( ٢ كو ١١ : ٢٠ ) .

وكم من المرات نرى أن الراعي المضحي التقي هو الذي يُضطهد ، وربما يُطرد ، بينما ينال الخادم المتعجرف كل ما يريد . إن المؤمن الجسدي قد يزدهر تحت « الدكتاتورية الروحية » للراعي الناموسي ؛ لأنه يشعر بالأمان والنجاح والروحانية ، ويظل المؤمن الجسدي مُضحياً بماله لكي ينجح العمل ، ولكنه يكتشف بعد ذلك أنه كان يزرع لجسده وليس للروح .

وبعد أن قدم الرسول الوصية ( غل ٦ : ٦ ) ، ثم المبدأ المؤسس عليها ( غل ٦ : ٧ و ٨ ) ، يقدم الآن وعداً ( غل ٦ : ٩ ) : « لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل » . ولكن هناك خطراً وراء هذا الوعد ، ألا وهو أن نكل في عمل الرب فنفشل ثم نتوقف الخدمة .

وأحياناً يكون الفشل الروحي بسبب ضعف التكريس للرب ، ومن المناسب أن نلاحظ الفرق بين كنيستين مُدحتا بسبب « العمل والتعب والصبر » ( ١ تس ١ : ٣ ؛ رؤ ٢ : ٢ ) . لقد تركت كنيسة أفسس محبتها الأولى وارتدت ( رؤ ٢ : ٤ و ٥ ) ترى لماذا ؟ الجواب نجده في السبب الذي من أجله مدح كنيسة تسالونيكى : « عمل الإيمان ، تعب المحبة ، صبر الرجاء » . فالأمر ليس مجرد عمل وتعب وصبر ، ولكنه الدافع الصحيح : « الإيمان والمحبة والرجاء » . وكم يسهل علينا أن نظل نعمل من أجل الرب مع أننا قد تركنا الدافع الروحي لخدمتنا يموت ! عندئذ ينطبق علينا ما قاله ملاخي النبي لكهنة إسرائيل : أهكذا نخدم الرب ولكننا نتدمر قائلين : « ما هذه المشقة ؟ » ونتأفف عليه ( ملا ١ : ١٣ ) .

نحن نكل أحياناً بسبب نقص الصلاة ، « ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُملَّ » ( لو ١٨ : ١ ) . فالصلاة بالنسبة للحياة الروحية هي نظير التنفس بالنسبة للحياة الجسدية ، فإن توقفت عن التنفس فسوف تصاب بالإغماء ( تكل ) . كما أن سوء التغذية يؤدي إلى الإغماء ( الكلل ) أيضاً . « ليس بالخبز وحده يحيا

الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » ( مت ٤ : ٤ ) . وإذا حاولنا أن نعيش بدون الطعام أو الراحة فإننا سنكل . أيضاً لابد أن نتعلّم انتظار الرب حتى يمدنا بالقوة التي نحتاج إليها لكل يوم ( إش ٤٠ : ٢٨ - ٣١ ) .

إلا أن الوعد الذي يقدمه الرسول لنا إنما يشجعنا على الاستمرار : « لأننا سنحصد في وقته » ؛ فالبذار التي زرعت لا تحمل ثماراً في الحال . فهناك فصول للنفس كما توجد فصول في الطبيعة ، فيجب أن نعطي وقتاً للبذار حتى تثبت جذورها في الأرض ثم تحمل ثماراً . ويا لها من سعادة للزارع الذي يجمع محصوله بنفسه ( عا ٩ : ١٣ ) ! وهكذا ينبغي أن نزرع بذاراً كل يوم إلى أن يأتي يوم الحصاد ( مز ١٢٦ : ٥ و ٦ ) ، متذكرين أن الرب هو الذي يُنمي وليس العاملون .

إن مشاركة الخيرات والبركات تتضمن ما هو أكثر من تعليم الكلمة وتقديم العطايا المادية ؛ فهي تتضمن أيضاً « عمل الخير » للجميع ( غل ٦ : ١٠ ) . في العالم يوجد مَنْ يصنعون شراً ( مز ٣٤ : ١٦ ) ، بل في الواقع يوجد مَنْ يقابلون الخير بالشر ( مز ٣٥ : ١٢ ) . وربما يقابل معظم الناس الخير بالخير والشر بالشر ( لو ٦ : ٣٢ - ٣٥ ؛ ١ تس ٥ : ١٥ ) ، أما المؤمن فعليه أن يقابل الشر بالخير ( رو ١٢ : ١٨ - ٢١ ) ، وأن يفعل ذلك بروح مسيحية . إن أعمال المؤمن الصالحة هي في الحقيقة ذبائح روحية يقدمها لله ( عب ١٣ : ١٦ ) .

نحن عندما نفعل الخير للجميع يُضيء نورنا ويتمجد الآب الذي في السماء ( مت ٥ : ١٦ ) ، فنحن لا نشهد للهاكين بالكلام فقط ، ولكن بأعمالنا أيضاً . في الحقيقة إن أعمالنا هي التي تمهد الطريق لشهادتنا الكلامية ، وتُكسبنا حق الاستماع إلينا ، ولا يجب أن نسأل : « هل يستحق هذا الشخص أعماله الصالحة ؟ » لأنه هل نستحق نحن ما قد فعله الله من أجلنا في المسيح ؟ كما لا يجب أن نأخذ موقف الناموسي الذي حاول أن يدافع عن نفسه بالنقاش حول : « مَنْ هو قريبي ؟ » ( لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧ ) . إلا أن الرب يسوع أوضح أن السؤال ليس « مَنْ هو قريبي ؟ » بل « مَنْ يمكن أن أكون أنا قريباً له ؟ »

وبينما نعمل الخير مع الجميع يجب أن نعطي الأولوية « لأهل الإيمان » ، أي شركة المؤمنين . ولا يعني ذلك أن تتحول الكنيسة المحلية إلى مجموعة منعزلة من الأعضاء بعيداً عن العالم حولها ، ولا تفعل شيئاً بالنسبة للبعيدون ، بل إن الأمر

يحتاج إلى توازن ، خاصة وأن المؤمنين في أيام الرسول بولس كانوا محتاجين أكثر من غيرهم ، بسبب معاناتهم نتيجة لإيمانهم ( عب ١٠ : ٣٢ - ٣٤ ) . هذا بالإضافة إلى أن الشخص يهتم عادة بعائلته الخاصة قبل غيرهم ( ١ تي ٥ : ٨ ) .

نحن يجب - على أية حال - أن نشارك المؤمنين الآخرين حتى نكون قادرين على مشاركة العالم المحتاج . فالمؤمن في دائرة أهل الإيمان الذي يستقبل الخيرات سيكون قادراً أن ينقلها إلى آخرين أيضاً ، ومتى ارتبطنا في المحبة بعضنا ببعض ستفيض هذه المحبة إلى جميع الناس ( ١ تس ٣ : ١٢ ) . وهذا ما قصد للمحبة أن تكون .





## سمات الحرية

غلاطية ٦ : ١١ - ١٨

كانت عادة الرسول بولس أنه بعدما ينتهي من إملاء رسالته يمسك بالقلم ويكتب كلماته الوداعية ، وهي : « نعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم » ( ١ تس ٥ : ٢٨ ؛ ٢ تس ٣ : ١٧ و ١٨ ) . لكن لأنه كان مهتماً جداً بوصول محتوى هذه الرسالة إلى الغلاطيين فقد كتب مقطعاً كاملاً ختامياً بيده : « انظروا ما أكبر الأحرف التي كتبتها إليكم بيدي ! »

لماذا كتب الرسول هذا الجزء ، ولماذا استخدم حروفاً كبيرة ؟ لا شك أن الروح القدس أوحى إليه بإضافة هذه الكلمات الختامية لكي يعطيهم فرحاً آخر بين الناموسيين وبين المؤمنين المنقادين بالروح : فالمجموعة الأخيرة هي التي تعيش من أجل مجد الله وليس لمدح الناس . ولذلك كتب لهم بحروف كبيرة من أجل تأكيد ما قاله .. أو بكلمات أخرى أراد أن يقول لهم : « لا تنسوا ذلك ! »

ويعتقد بعض الدارسين بأن شوكة الرسول بولس في جسده ( ٢ كو ١٢ : ٧ - ١٠ ؛ غل ٤ : ١٤ و ١٥ ) كانت في عينيه ، ولذلك اضطر أن يكتب بأحرف كبيرة حتى يستطيع هو نفسه قراءة ما كتب . وسواء صح ذلك أم لا ، فقد أوضح الرسول أن هناك شيئاً هاماً يريد أن يؤكد في الختام ، حتى إنه لا يريد أن يختم الرسالة بصورة تقليدية . وإذا كانت لديه بالفعل مشكلة في عينيه ، ومع ذلك كتب المقطع الأخير بيده شخصياً ، فذلك كان له وضعه الخاص بكل تأكيد في قلوب قرائه .

لقد أوضح لهم التباين الشاسع بين المؤمن الذي يعيش تحت الناموس والمؤمن الذي يعيش تحت النعمة .. فالأمر ليس مجرد اختلاف في التعليم ، بل القضية

هي وجود طريقين للحياة . وكان عليهم أن يختاروا بين العبودية أو الحرية ( غل ٥ : ١ - ١٢ ) ، وبين الجسد أو الروح ( غل ٥ : ١٣ - ٢٦ ) ، وبين الحياة للذات أو الحياة للآخرين ( غل ٦ : ١ - ١٠ ) .

والآن يقدم الرسول اختياراً رابعاً هو : إما الحياة لمجد الناس أو لمجد الله ( غل ٦ : ١١ - ١٨ ) ، وهنا يتناول موضوع الدافع الداخلي . وما أحوج كنائسنا اليوم إلى فحص دوافع خدمتنا . وإن كنا نعرف ما نفعل ، لكن هل نعرف لماذا نفعله ؟ إن الدافع الرديء يُفسد العمل الصالح .

لقد اقترب الرسول إلى هذا الموضوع بأسلوب رقيق . فإذا أراد الناموسيون أن يُخضعوا مؤمني غلاطية للختان ، فقد تناول الرسول ذلك الأمر وربطه بعمل المسيح على الصليب ، وأيضاً بخدمته الخاصة . وهنا أبرز ثلاث شخصيات هي : الناموسيون ( غل ٦ : ١٢ و ١٣ ) ، والرب يسوع المسيح ( غل ٦ : ١٤ - ١٦ ) ، والرسول بولس نفسه ( غل ٦ : ١٧ و ١٨ ) .

## أولاً : الناموسيون

( غل ٦ : ١٢ و ١٣ )

لم يذكر الرسول شيئاً صالحاً عن الناموسيين ، بل وصفهم بأربع صفات ، هي :

(١) كانوا متفاخرين ومتباهين ( ع ١١٢ و ١٣ ب ) : فلم يكن هدفهم الأساسي هو ربح النفوس للمسيح ، ولا مساعدة المؤمنين للنمو في النعمة ، بل كانوا يسعون لضم أكبر عدد وراءهم لكي يتباهوا بهم ، وبذلك اهتموا بالمظهر الخارجي دون أن يعملوا شيئاً داخلياً . لم تكن خدمتهم لبناء الكنيسة ، أو لمجد الله بل لمجد أنفسهم فقط .

ولا شك أننا نود أن نرى كثيرين يشتركون في خدماتنا ، ليس لأهمية العدد الكبير ، بل لأهمية الناس أنفسهم . ثم يجب الحذر من « استخدام الناس » لبرامجنا الخاصة ، ومن أجل تمجيد ذاتنا .

يصلني عدد لا بأس به من نشرات بها أخبار الكنائس المحلية ، ولقد صدمت عندما وجدت في إحداها راعياً وقد ذكر أسماء عديدة لكنائس أخرى ، ثم شرح

تفوق كنيسته على تلك الكنائس التي ذكرها . وبعض هذه الكنائس لم تكن من العائلة الإنجيلية ، وقد تعجبت جداً عما يمكن أن يفكر فيه أعضاء تلك الكنائس حول المسيح والإنجيل بعدما يقرأون ذلك الانتقاد المتكبر . تُرى هل يمكن أن يساعد مثل هذا الانتقاد تلك الكنائس على أن تشهد عن المسيح للناس في منطقتها ؟!

## (٢) كانوا من أصحاب الحل الوسط (ع ١٢ب) : لماذا كانوا يكرزون

بضرورة الختان ، ويمارسونه مع كل ما كان يحيط به ؟ ليتجنبوا الاضطهاد ! فعندما كرز الرسول بنعمة الله والخلاص بعيداً عن أعمال الناموس كان مضطهداً ( غل ٥ : ١١ ) . وقد حاول المتهودون أن يقنعوا المؤمنين بأنهم هم أيضاً مؤمنون ، كما حاولوا أن يقنعوا تابعي ناموس موسى بأنهم يتبعون أيضاً ذلك الناموس ، وبالتالي هربوا من اضطهاد الناموسيين لهم بسبب تمسكهم بصليب المسيح ، ومن تأثيره الذي أنهى قوة الناموس .

نحن اليوم ننظر إلى الصليب ( أو عملية الصلب نفسها ) بطريقة عاطفية ، ونترزين به على صدورنا ، لكن في القرن الأول لم يكن الصليب بالنسبة للمؤمن قطعة جميلة من الذهب أو المجوهرات ، بل كان أخط أنواع الموت والذل ، ولم يكن في استطاعة المواطن الروماني أن يذكر كلمة الصليب حتى في حديثه العادي ، لأنه كان يرمز إلى الرفض والعار .

عندما آمن بولس بالمسيح تمسك بالصليب وتحمل النتائج ، فقد كان الصليب عثرة لليهود ، وجهالة للأمم ( ١ كو ١ : ١٨ - ٣١ ) . لذلك عندما ركز الناموسيون على الختان - وليس على الصليب - كسبوا كثيرين وراءهم ، ووجدت أفكارهم قبولاً عند البعض لأنها جنبتهم عار الصليب .

## (٣) كانوا قادرين على الإقناع (ع ١٢ج) : فالكلمة « يلزمونكم » تحمل

معنى الإقناع الشديد ، حتى لو كان بالقوة ، وسبق استعمالها في نفس الرسالة ( غل ٢ : ١٤ ) ، ومع أنها لا تعني أن تجبر الشخص ضد إرادته ، إلا أنها لا تزال كلمة قوية تدل على قدرة المتهودين على الإقناع ، ولو بالحديث الطنان . أما الرسول بولس فعندما كان يركز بالكلمة لم يحاول أن يستخدم « سمو الكلام » ، ( أو لغو الحوار ) ، بل الحق والإخلاص ( ١ كو ٢ : ١ - ٥ : ٢ كو ٤ : ١ - ٥ ) ؛ لأنه لم يكن سياسياً بل سفيراً للمسيح .

## (٤) كانوا مرانين (ع ١٣) : « إنهم يريدون أن تخضعوا للناموس بينما

هم أنفسهم لا يحفظون الناموس » ، ذلك لأن الناموسيين كانوا ضمن جماعة الفريسيين الذين قال عنهم الرب يسوع : « لأنهم يقولون ولا يفعلون » ( مت ٢٣ : ٢ ) . وبالطبع لم يقصد الرسول أن اليهوديين يجب أن يحفظوا الناموس ؛ لأن ذلك كان مستحيلاً ، وليس ضرورياً . بل قصد إدانتهم بسبب عدم أمانتهم ؛ إذ لم تتوفر فيهم نية حفظ الناموس حتى ولو استطاعوا ذلك ! إنما كان احترامهم فقط للناموس قناعاً يخفون به هدفهم الحقيقي ألا وهو ربح أكبر عدد من المؤمنين لفكرهم ، وعندما ترتفع إحصائياتهم يزيد مجدهم .

## ثانياً : الرب يسوع المسيح ( غل ٦ : ١٤ - ١٦ )

استمر الرسول يعود في حديثه إلى الصليب ( غل ٢ : ٢٠ و ٢١ : ٣ : ١٣ : ٤ : ٥ : ٥ : ١١ و ٢٤ : ٦ : ١٢ ) ، وقال « إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب » ( غل ٢ : ١٢ ) . وبلا شك فإن جروح الجلجلة تجعل من المسيح شخصاً مشهوراً ؛ لأن تلك الجروح كانت تعني الحرية لكل من يؤمن به . لقد افتخر اليهودون بالختان لكن بولس افتخر بمخلص مصلوب ومقام ، فتمجد في الصليب . وبالتأكيد لا يقصد هنا إنه افتخر بالقساوة أو الألم في الصليب ، كما لم ينظر للصليب كقطعة من الخشب صُلب عليها أحد المجرمين ، بل نظر إلى صليب المسيح مفتخراً به ، لكن لماذا افتخر الرسول بولس بالصليب ؟ للأسباب الآتية :

(١١) كان يعرف شخص المصلوب : لقد تكرر اسم يسوع المسيح حوالي ٤٥ مرة على الأقل في هذه الرسالة . مما يعني أن ما يقرب من ثلث آياتها كانت فيها إشارة إلى ذلك الاسم . وكان الرب يسوع هو الذي أسر بولس ، فالمسيح هو الذي جعل من الصليب مصدر فخر بالنسبة لبولس . في بداية حياته عندما كان بولس معلماً يهودياً كان له الكثير لكي يفخر به ( غل ١ : ١٣ و ١٤ : ٣ : ١ - ١٠ ) ، لكن بعدما تقابل مع المسيح تحول فخره الذاتي إلى نفاية ! أما اليهودون فلم يفخروا بصليب المسيح ؛ ذلك لأنهم لم يتمجدوا في المسيح ، بل كانوا هم أنفسهم - وموسى - الذين تمجدوا . إنهم في الواقع لم يعرفوا شخص المصلوب !

(٢) **كان يعرف قوة الصليب** : إن تعليم تقديم ذبيحة على الصليب كان أمراً منافياً للعقل بالنسبة لمعلم يهودي نظير شاول . فالمسيح لا بد أن يأتي ، لكن ليس ليموت - ولا سيما بلعنة الصليب - هناك مكان لهذا المفهوم في اللاهوت الذي درسه شاول ففي تلك الأيام كان الصليب يمثل أقصى حالات الضعف والعار . لكن شاول الطرسوسي قد اختبر قوة الصليب ، وأصبح بولس الرسول . فلم يعد الصليب حجر عثرة له ، بل على العكس ، صار حجر الأساس لخدمته ؛ لأن المسيح مات من أجل خطايانا .

كان الصليب بالنسبة لبولس هو الحرية من الذات ( غل ٢ : ٢٠ ) ، ومن الجسد ( غل ٥ : ٢٤ ) ، ومن العالم ( غل ٦ : ١٤ ) . لقد انطلقت قوة الله في موت وقيامة المسيح لكي تعطي المؤمنين خلاصاً وانتصاراً . فلم نعد نحن الذين نعيش بل المسيح الذي يعيش فينا ومن خلالنا ، وعندما نخضع له سنتمتع بالنصرة على العالم وعلى الجسد . وبالتأكيد لا توجد قوة في الناموس تعطي الإنسان انتصاراً على الذات أو الجسد أو الناموس ، بل على العكس ، لأن الناموس يلجأ للذات البشرية التي تتفاخر بالقول : ( أستطيع أن أفعل شيئاً لإرضاء الله ) ، كما يشجع الجسد لكي يعمل . إن العالم لا يعبأ بتديننا ، طالما نحن نبتعد عن الصليب بل في الواقع يقبل العالم الدين بعيداً عن إنجيل يسوع المسيح . وهكذا فإن الناموسية تنفخ الذات ، وتتملق الجسد ، وترضي العالم .. أما المؤمن الحقيقي فإنه يصلب هذه الثلاثة معاً .

(٢) **كان يعرف غرض الصليب** : كان الهدف هو الإتيان بشعب جديد لله في العالم ، فقد كان بنو إسرائيل هم شعب الله لعدة قرون من الزمان ، وكان الناموس هو أسلوبهم في الحياة . لكن كل ذلك كان إعداداً لمجيء الرب يسوع المسيح ( غل ٤ : ١ - ٧ ) . والآن ، بعدما جاء المسيح وأكمل عمله الفدائي العظيم ، نحى الله جانباً شعب إسرائيل ، وقدم للعالم « خليفة جديدة » هي « إسرائيل الله » - ولا يعني ذلك نهاية تعاملات الله الروحية مع إسرائيل تماماً ، بل هناك خطة مستقبلية لذلك وردت في ( رو ١١ ) .

كان أحد أهداف الصليب هو ولادة الخليفة الجديدة ( غل ٦ : ١٥ ) ، وهي « الكنيسة » جسد المسيح . فالخليفة القديمة التي كان آدم رأسها قد فشلت ، أما الخليفة الجديدة فرأسها المسيح ولا بد أن تنجح .

لقد شرح الرسول لأهل رومية التعليم الخاص بآدميين - آدم الأول والمسيح ( رو ٥ : ١٢ - ٢١ ) . فقد عصي آدم الأول الله ، وجلب على العالم الخطية والموت والدينونة . أما آدم الأخير ( ١ كو ١٥ : ٤٥ ) فقد أطاع الله ، ومن ثمَّ جلب الحياة والبر والخلاص . وإن كان آدم قد ارتكب خطية واحدة إلا أنه دفع بكل الخليقة إلى الدينونة . لكن المسيح قام بعمل واحد للطاعة بموته على الصليب ، ووفى دين كل خطايا العالم . وبسبب خطية آدم ساد الموت على العالم ، لكن بسبب نصرة المسيح نستطيع أن نملك في الحياة ، أي نحكم ( رو ٥ : ١٧ ) . وبتعبير آخر نقول إن المؤمن ينتمي إلى « خليقة جديدة » ، هي خليقة روحية لا تعرف شيئاً عن نقائص وحدود « الخليقة القديمة » ( راجع ٢ كو ٥ : ١٧ ) . وهناك هدف آخر للصليب هو خلق أمة جديدة « إسرائيل الله » ( غل ٦ : ١٦ ) ، وهذا أحد الأسماء العديدة للكنيسة في العهد الجديد . قال الرب يسوع لليهود : « ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » ( مت ٢١ : ٤٣ ) . ويعتبر الرسول بطرس هذه الأمة أنها عائلة الله ، « وأما أنتم فجنس مختار ، وكهنوت ملوكي ، أمة مقدسة » ( ١ بط ٢ : ٩ ) ، وهكذا أصبحت الكنيسة هي « شعب الله » على الأرض ، كما كان إسرائيل في الماضي .

عجباً أن أراد المنتهدون العودة بالكنيسة إلى ناموس العهد القديم ، الذي لم يتمكن شعب إسرائيل من حفظه ، فبالله إذاً من منطق مرفوض ! لقد نُحيت هذه الأمة جانباً ، ليفتح الطريق لشعب الله الجديد .. الكنيسة !

وربما لا يكون المؤمنون اليوم من « أولاد إبراهيم » حسب الجسد ، إلا أنهم « نسل إبراهيم » بالإيمان بالمسيح يسوع ( غل ٤ : ٢٨ و ٢٩ ) ، وقد اختبروا ختان القلب الذي هو أقوى كثيراً من ختان الجسد ( رو ٢ : ٢٩ ؛ في ٣ : ٣ ؛ كو ٢ : ١١ ) ، ولهذا السبب لا يهتم الله سواء بالختان أو بعدمه ( غل ٥ : ٦ ؛ ١٥ : ٦ ) .

## ثالثاً : الرسول بولس

( غل ٦ : ١٧ و ١٨ )

كان هناك وقت افتخر فيه الرسول بولس بعلامة ختانه ( في ٣ : ٤ - ٦ ) ، ولكنه بعد إيمانه صار مميزاً ولكن بعلامة أخرى ؛ فهو الآن يفتخر بالعلامات

والجروح ( أو السمات ) الموجودة في جسمه ، وبالألام التي تحملها في خدمة الرب يسوع المسيح .

وهنا يتضح الفرق بين الناموسيين وبينه ، وكأنه يقول : إنهم يريدون لكم علامة جسدية لكي يفتخروا بكم ، ولكني أحمل في جسدي سمات إهانة الرب يسوع المسيح لمجده .. وإذا كان لدى قادتكم الدينيين أية سمات من أجل مجد المسيح فلعلها تظهر ، وإلا فلا تتعبوني بعد !

ولا يدَّعي الرسول أنه قد حمل جروح الجلجلة الخمسة في جسده ، ولكنه يؤكد ألمه الذي قاساه من أجل المسيح ( وهذا ما لم يحدث مع الناموسيين ) ، وتوجد في جسده العلامات التي تبرهن على ذلك ( ٢ كو ١١ : ١٨ - ٣٣ ) . ولا توجد صعوبة في فهمه ذلك الادعاء ، لأن الرسول بولس قد عانى جسدياً بطرق مختلفة وفي أماكن عديدة .

وفي أيام الرسول بولس كان أمراً عادياً أن تجد تابِعاً لإله أو آلهة من الأوثان . وقد كان ذلك التابع يضع على جسده علامة ذلك الإله الوثني ؛ لأنه كان يفتخر بإلهه ومن ثمَّ يريد أن يعرف الآخرون ذلك . وبذات الطريقة كان الرسول بولس يحمل سمات ( علامات الألم وآثاره ) الرب يسوع ، ولم تكن تلك العلامات وقتية ، أو يمكن إزالتها بل كانت دائمة ورافقة حتى القبر . كما أنه لم يتقبل تلك السمات بطريقة سهلة ، بل تعذب مراراً حتى صار شخصاً مميزاً للمسيح . وكانت العادة أيضاً في تلك الأيام أن يسموا العبيد حتى يُعرف مَنْ هو المالك للعبد ، وهكذا اعتبر بولس نفسه عبداً للمسيح ، وحاملاً السمة التي تدل على ذلك .

وجدير بالملاحظة أيضاً أن الخطية تسم الإنسان ، فربما تسم عقله أو شخصيته أو حتى جسده . لكن قليلين هم الذين يفتخرون بسمات الخطية التي يحملونها ، تلك السمات التي لا يغيرها إيمان وتوبة الإنسان . ( شكراً لله ، أن التغيير سوف يحدث عند مجيء المسيح ثانية ! ) وما أفضل أن نحب المسيح ، ونحيا له ، وتكون لنا سماته من أجل مجده .

ويجب أن يتذكر المؤمنون اليوم أن القائد المسيحي الذي يتألم من أجل المسيح هو الذي يملك ما يقدمه للآخرين . لم يعرف المتهودون أيام الرسول بولس شيئاً عن الألم ، وربما اضطهدوا بطريقة بسيطة بسبب انتمائهم إلى جماعة دينية ، ولكن ما أبعد ذلك عن « شركة آلامه » .. أي آلام المسيح ( في ٣ : ١٠ ) .



التحذر من ذلك القائد الديني الذي يعيش في برج العاجي ، ولا يعرف شيئاً  
عن المعركة ضد العالم أو الجسد أو الشيطان ، والذي ليست له أية « سمات »  
تُظهر مدى طاعته للمسيح . لم يكن الرسول بولس قائداً من مكتبه ، بل كان  
جندياً محارباً في الخطوط الأمامية ضد الخطية ، وقد نال نصيبه من الألم .  
وهكذا يأتي الرسول بولس إلى نهاية الرسالة ، ويختتم بما بدأ به .. أي  
بالنعمة ! ليس « ناموس موسى » لكن نعمة ربنا يسوع المسيح !  
ولا شيء يقال أكثر من ذلك ، لأن ما قيل فيه كل الكفاية .

أكثر من خمسة ملايين نسخة من كتب سلسلة « كُنْ » في لغات مختلفة !

## كيف تكمل

### الجملة الآتية ؟!

لكي أكون مسيحياً حقيقياً يجب أن .....

إن ما تكمل به هذه الجملة يمكن أن يكون محرّجاً ، بل وخطيراً أيضاً . فإذا أكملتها بما هو خطأ – مثلاً يفعل الكثيرون – ستقع في نفس الفخ الذي أحاط بمسيحيي القرن الأول الميلادي في غلاطية !

إن رسالة غلاطية هي أول الرسائل التي كتبها الرسول بولس ، ودراستها يمكن أن تساعدك على إكمال الجملة بصورة صحيحة ، كما ستخبرك بوضوح عما يجب أن تتجنب إكمال الجملة به .

ما أجمل أن تكون مسيحياً .. لكن الأروع من ذلك أن تكون مسيحياً حقيقياً في نفس الوقت . هذه الدراسة تقدم لك الدعوة :

## كُنْ حراً

الكاتب د . وارين ويرزبي مؤلف معروف ، له كثير من الكتابات في مجال الدراسات الروحية . وتعتبر مؤلفاته من أكثر الكتب توزيعاً في العالم . ومع أن آراء الكاتب قد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الناشر ، أو مع الخلفية اللاهوتية لجميع القراء ، إلا أننا نشق أن سلسلة « كُنْ » ستضيف الكثير من المدارك الكتابية ، وتُثري حياة المؤمنين بتطبيقات عملية لحياة مسيحية ناجحة .



مطبوعات إيجان